الأربعون

في فضل الصحابة وخير القرون

مع الشرح

جمعه

الدكتور أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي

الأربعون

في فضل الصحابة وخير

القرون

الأربعون

في فضل الصحابة وخير

القرون

مع الشرح

جمعه

الدكتور: أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه ومشايخه

والمسلمين

آمين


بسم الله الرحمن الرحيم

يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعـــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــذرُ
واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ
فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لـــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجـــدرُ
ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى * كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعـــذِّرُ[1]

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".



وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ[التوبة: 100].

مقدِّمةٌ

إنَّ الحمدَ للهِ

نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ ﷺ.

{يَاأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: 102].

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: 1].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ[1].

---

(1) أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهدي هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومستْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.

الراوي: جابر بن عبدالله، المصدر: صحيح الجامع، الرقم: 1353.

التخريج: أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير.

وبعد:

فقد أثنى الله تعالى على التابعين في كتابه الكريم بعد ثنائه على الصحابة الكرام، فقال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:100]، فاشتملت الآية الكريمة على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم به من جنات النعيم(1).

وذكر العلامة الشنقيطي رحمه الله تعالى(2) أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله تعالى: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}[الجمعة:3].

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا}[الحشر:10].
وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ} [الأنفال:75].

وقال الشيخ حافظ الحكمي(3) رحمه الله تعالى معلقاً على هذه الآية: "وقد رتب الله تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم، ثم أردفهم بذكر التابعين في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ}.

---

(1) يراجع: تفسير القرآن العظيم 331/2.
(2) أضواء البيان 474/2.
(3) معارج القبول 486/2.

فهذه خصوصية خصَّ الله تعالى بها عصورا ذهبية ثلاثة أخبر عنها النبي ﷺ في مواضع كثيرة مثنيا على أهلها المؤمنين أو واعد لهم بالخيرات والنَّعيم، فبين طيَّات العصور والأزمان ميَّز الله تعالى عصورا ثلاثة بالفضل والخيرية، وهم عصر الرسول ﷺ وصحابته، وعصر التابعين، وعصر تابعيهم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "خيرُكم قرني ثم الذينَ يلونَهم ثم الذين يلونهم ثم يخلفُ قومٌ تسبقُ شهاداتُهم أيمانَهم وأيمانُهم شهاداتَهم" فهذه الخيرية على حسب درجاتها ميزة لا يصل إليها أحد من البشر بمجرد عمل يعمله، فمن ميَّزهم الله تعالى بتلك الميزة هم مختارون من أرحام النساء وأظهر الرجال من بين الخلق وبين العصور، ليكون منهم أصحاب لرسول الله ﷺ وليكون منهم تلاميذ لأصحاب رسول الله ﷺ وليكون لهم تلاميذ لأصحاب أصحاب رسول الله ﷺ فطوبى لمن عرف قدرهم وأتَّبعهم وعظَّمهم، فالفرد المؤمن العدل من هذه الأجيال الثلاثة على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم بأمَّة ممن هم بعدهم، وهذا مجمع عليه ولا خلاف فيه، فيُستغرب بعدها أن توضع قواعد في علم المصطلح، بأن يكون الحديث الغرب مثلا: هو من رواه فرد في إحدى طبقات السند، فتنظر من هو هذا الفرد فتجده صحابيا أو تابعيا أو تابع التابعي، أفلا يعلم من وضع هذه القواعد أنه توجد قاعدة تنفي كل هذا، وهي: الخيرية تغني عن العددية، وهذا معلوم عند أهل العلم لا خلاف فيه، وعلى هذا فإن كان السند مرويٌّ فُرادى بأن يرويه صحابي واحد ويرويه عنه تابعي واحد وعنه تابع تابعي واحد، فالأصل أنَّ هذه العصور الثلاثة لا يُنظر إلى عدد الرواة فيهم بل يُنظر فيمن بعدهم، بحيث لو كان سند العصور الذهبية واحد عن واحد وروى الحديث في الجيل الرابع اثنين عن اثنين إلى آخره فهو عزيز، أو ثلاثة عن ثلاثة إلى آخره فهو مشهور، أو أربعة عن أربعة إلى آخره فهو مستفيض، أو خمسة عن خمسة إلى آخره فهو متواتر، ولا ينظر إلى عدد العصور الذهبية من الروَّاة والسبب؟ الجواب: أنَّ الخيرية تغني عن العددية، وكنت قد

تكلمت على هذا في موسوعتي "الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه" (الجزء الثاني، جزء السنَّة باب الحديث المتواتر)، وأوفيت الكلام فيه ولكنِّي أردت أن يستيقن الباحث كلامي، ولهذا رأيت أن أجمع أربعين حديثا في فضل العصور الثلاثة الذهبية، وبه يتيقَّن الباحث أن الخيرية أحسن من العددية، وأنَّ الحكم على السند من جهة العدد على أنَّه غريب أو عزيز أو مشهور أو مستفيض أو متواتر يكون من بعد العصور الذهبيَّة، وما قلته في موسوعتي "الخلاصة" وجمعته في هذه الأربعين ليس بدعة مستحدثة، بل هو الحق لما سنتناوله من فضل هؤلاء القوم وحرصهم على الدين وعلى السنة، وأنَّ العدل منهم بألف ممن هم بعدهم أو أكثر، فمن حرصهم وجهدهم في تدوين السنَّة ما تعجز عنه الأمم ولو اجتمعوا، فقد كان للتابعين دور في بداية التدوين الرسمي للسنة حيث كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: "انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه"[1].

وروى البخاري[2] أن عُمر بن عبد العزيز كتب إلى (عامله على المدينة) أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت117هـ): "انظر ما كان من الحديث عن رسول الله ﷺ فاكتبه، فإني خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث رسول الله ﷺ، وأمره بجمع حديث عمرة[3] (ت78هـ)، وأمر الإمام ابن شهاب الزهري (ت124هـ) بجمع السنن، وكذا كتب إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر (ت107هـ)[4].

ويصف الزهري مدى استجابة العلماء لما طلبه الخليفة عمر بن عبد العزيز وثمار جهودهم في تدوين السنة فيقول: "أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً"[5].

(1) للتوسع يراجع: المختصر في علم رجال الأثر للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ص41.

(2) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، ويراجع: مفتاح السنة للخولي ص21، ودفاع عن السنة لأبي شهبة ص23.

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم 194/1.

(4) رواه الدارمي في سننه 126/1. وعمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية.

(5) مقدمة الجرح والتعديل ص21.

ولم يكتف عمر بن عبد العزيز بالأمر بجمع السنة بل حث العلماء على نشرها في المساجد، لما روى البخاري أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم قائلاً: "ولتُفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يُعلَّم من لا يَعلمُ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً"[1]، وعُقدت بعدها حلقات تدريس الحديث الشريف في مساجد المدن الإسلامية، وجلس المحدثون لتدريس الناس ويروون أحاديث الرسول ﷺ لهم.

فتخرّج على أيديهم عدد من أتباع التابعين.

فعن الزهري قال: "كان عروة يتألف الناس على حديثه"[2].

وقد شهد عهد التابعين[3] جهوداً علمية مباركة في رواية السنة وتطبيقها وتدريسها ونشرها بين الناس في صحف كتبوا فيها أحاديثهم التي سمعوها من صحابة رسول الله ﷺ، وانتشرت كتابة الحديث في جيل التابعين على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، وهذه ميزة للتابعين على الصحابة، بحيث لم يكتب الحكمة من الصحابة إلا النزر القليل وعلى رأسهم عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي جيل التابعين أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم المنتشرة في الأمصار الإسلامية حينذاك. ولعل من أسباب ذلك التوسع ما يأتي:

1 – انتشار الروايات، وطول الأسانيد، وكثرة أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم.

2 – موت كثير من حفاظ السنة من الصحابة وكبار التابعين، فخيف بذهابهم أن يذهب كثير من السنة.

3 – ضعف ملكة الحفظ مع انتشار الكتابة بين الناس وكثرة العلوم المختلفة.

4 – ظهور البدع والأهواء وفشو الكذب، فحفاظاً على السنة وحماية لها من أن يدخل فيها ما ليس منها، شُرِعَ في تدوينها.

وكُتب في هذا العصر من الصحف ما يفوق الحصر، وقد ذكر الدكتور مصطفى الأعظمي عدداً كبيراً منها وذلك في كتابه: "دراسات في الحديث النبوي"(4).

ونكتفي هنا بذكر أمثلة من تلك الصحف التي كتبت في هذا العصر:

1 – صحيفة أو صحف سعيد بن جبير تلميذ ابن عباس(5).

2 – صحيفة بشير بن نهيك كتبها عن أبي هريرة وغيره(6).

3 – صحف مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، قال أبو يحيى الكناسي: "كان مجاهد يصعد بي إلى غرفته فيخرج إلي كتبه فأنسخ منها"(7).

4 – صحيفة أبي الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي، تلميذ جابر بن عبد الله، يروي نسخة عنه وعن غيره أيضاً(8).

5 – صحيفة زيد بن أبي أنيسة الرهاوي(9).

6 – صحيفة أبي قلابة التي أوصى بها عند موته أيوب السختياني(10).

7 – صحيفة أيوب بن أبي تميمة السختياني(11).

8 – صحيفة هشام بن عروة بن الزبير(12).

9 – صحيفة همام بن منبه، عن أبي هريرة رضي الله عنه(13).

وغير ذلك من الصحف الكثيرة التي كتبها التابعون، والتي كانت هي الأساس الثاني بعد صحائف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين لما أُلف وصُنّف في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

---

(1) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله 76/1. (2) صحيح البخاري 194/1، ويراجع السنة قبل التدوين ص163. (3) تهذيب الكمال 16/20. (4) يراجع: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص103، وتدوين السنة النبوية ص96. (5) انظر الفصلين الثاني والثالث من الباب الرابع (143/1–220)، ويراجع: معرفة النسخ والصحف الحديثية للشيخ الدكتور/ بكر أبو زيد، ص54. (6) تقييد العلم ص102–103، سنن الدارمي 94/1. (7) تقييد العلم ص101، سنن الدارمي 94/1، وتهذيب التهذيب 470/1. (8) تقييد العلم ص105. (9) انظر: بحوث في تاريخ السنة للدكتور/ أكرم العمري ص230، دراسات في الحديث النبوي 203/1. (10) انظر: بحوث في تاريخ السنة ص230. (11) انظر: دراسات في الحديث النبوي (144/1). (12) انظر: بحوث في تاريخ السنة ص230.
(13) يوجد منها (16 ق) في الظاهرية بدمشق، انظر: بحوث في تاريخ السنة ص230.

وبعد هذا العرض سنرى في هذه الأربعين فضل هؤلاء وما لهم من مزية على غيرهم ممن هم بعدهم أي بعد العصور الذهبية، وأنَّ تفضيلهم لم يكن اعتباطيًّا بل كانوا {أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} فلا يقولنَّ بعد هذا أنَّ هذا السند غريب لأنَّه تفرَّد به صحابي أو تابعي، فالتابعيُّ بخيريته بملئ الأرض ممن هو دونه وسيأتي بيان ذلك في شرح أحاديث هذه الأربعين المباركة، التي ما أردنا بها إلَّا بيان فضل هؤلاء بعد ما جحد القوم فضلهم بل جحدوا فضل الصحابة فضلا على التابعين، وكان جل كلامي في هذه المقدمة على التابعين لأن الصحابة مفروغ منهم فهم عدول بالعدالة المطلقة، مع أني أرى بأنَّ عدالة التابعين مطلقة أيضا استنادا على الآية التي في الباب وفيها: قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:100]، فهذا تعديل مطلق من ربِّ الأرباب للصحابة ولمن تبعهم بإحسان، وسبق وأشرنا أنَّ الكلام في هذه الآية الكريمة عن الصحابة باختلاف مراتبهم وعن التابعين بعدهم، فإن كان تعديل الله تعالى للصحابة مطلق فهو لاحق للتَّابعين وهو بيِّن في الآية، ثمَّ يُلحق رسول الله ﷺ أتباع التابعين بقوله: "خيرُكم قرني ثم الذينَ يلونَهم ثم الذين يلونهم" وأجمع أهل العلم قاطبة أن قرن رسول الله ﷺ هو قرنه هو وصحابته، وأنَّ الذين يلونهم همُ التابعون ثمَّ الذين يلونهم هم أتباع التابعين، وستأتي شواهد ذلك ودلالته وبيانه في أحاديث هذا الكتاب المبارك، ونخرج بهذا أنَّ عدالة التابعين وأتباعهم مطلقة، ولكنَّ عدالة أتباع التابعين أقل من عدالة التابعين، وعدالة التابعين أقل من عدالة الصحابة، فسيقول القائل إن من التابعين من هو مدلس، نجيب ونقول أنَّ في عصر الصحابة من كان منافقا ولا نعلمه، وإن منهم من ارتدَّ ثمَّ عاد، ومنهم من حارب الرسول ﷺ وقال فيه الأقوايل ثم عاد، ومع هذا فهم

خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل، والتابعين هم خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل والصحابة، وأتباع التابعين هم خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين، وعلى هذا فكل من التابعين وأتباعهم عدالتهم مطلقة على حسب مراتبهم كما سبق وأشرنا وأنَّ عدالتهم هي الأصل ويبقى الحال على أصله حتَّى تأتي قرينة تصرف الفرد منهم من عدالته إلى تجريحه، وبه فمن أراد الحكم على قوَّة الحديث بين الغربة والعزة والشهرة والاستفاضة والتواتر فليحكم عليه من بعد العصور الذهبية، وقد توصلت إلى هذا بعد بحث طويل وقياس وجمع للأحاديث وسبر ونظر وتمعن في فضلهم، وسنرى ذلك في طيَّات هذه الأربعين المباركة، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الأربعين خالصة لوجهه وأن يتمم منها مقصودها، وأن يعلم الناس قدر تلك الأجيال المباركة وفضلهم، فيعطوهم حقَّهم، ويُنزلزنهم منازلهم التي أنزلهم الله تعالى، فعن أمِّنا عائشة رضي الله عنها قالت: "أَمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ نُنزِّلَ الناسَ مَنازلَهُمْ"[1]، فهذا إرشادٌ إلى إكرامِ وُجوهِ الناسِ وتَبجيلِهم، والإحسانِ إليهم وتألُّفِهم؛ وأحقُّ الخلْقِ بالإكرامِ والتَّبجيلِ: الأنبياءُ، والصحابة، والتابعين، والأئمَّةُ، ومَن يَخلُفُهم مِن أُولي الأمْرِ، والعُلماءُ، والسَّادةُ، والرَّجلُ في أهْلِه؛ حتى لا يُؤخَّرَ مُقدَّمٌ ولا يُقدَّمَ مُؤخَّرٌ، فتَنفِرَ القلوبُ والخواطرُ، وتَضطرِبَ الأحوالُ.

فهذا أدَبٌ نَبويٌّ وتربيةٌ قويمةٌ، وفيها الحَضُّ على مُراعاةِ مَقاديرِ الناسِ، ومَراتبِهم، ومناصبِهم، فيُعامَلُ كلُّ واحدٍ منهم بما يَلِيقُ بحالِه، وبما يُلائمُ مَنصِبَه في الدِّينِ، والعلمِ، والشَّرَفِ، والمرتبةِ؛ فإنَّ اللهَ تعالى قد رتَّبَ عبيدَه وخَلْقَه، وأعطى كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وأيُّ رتبة أعلى ممن شهد الله لهم بالعدالة ورضى عنهم وأخبر بذلك في محكم تنزيله فقال: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ

رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:100]، فهذه بشارة لهم في حال حياتهم أي الصحابة، ثمَّ كانت البشارة لاحقة بدلالة الآية لمن بعدهم وهم التابعون، ثمَّ كانت البشارة لاحقة لمن بعدهم وهم أتباع التابعين، بدلالة حديث خير القرون، وعلى هذا فإنَّ أولى الناس بتحكيم حديث عائشة "أَمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ نُنزِّلَ الناسَ مَنازِلَهُمْ" هم الصحابة وأتباعهم وأتباع أتباعهم، ولا يجوز تقديم من بعدهم عليهم، ولا مساواتهم بهم، وهم المبجَّلون المعدَّلون بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

وكتب

الدكتور أبو فاطمة عصام الدين بن إبراهيم النقيلي

---

(1) صحيح أخرجه أبو يعلى في ((مسنده)) (8/ 246)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (4/ 379)، والبيهقي في ((الشعب)) (7/ 462).

﴿الحديث الأوَّل﴾

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خيرُكم قرني ثم الذينَ يلونَهم ثمَّ الَّذينَ يلونهمْ، ثمَّ يخلفُ قومٌ تسبقُ شهاداتُهم أيمانَهم وأيمانُهم شهاداتَهم[1].

وفي رواية: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ مِن بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهادَتُهُمْ أيْمانَهُمْ، وأَيْمانُهُمْ شَهادَتَهُمْ[2].

********** الشرح **********

فقد فاضَلَ النَّبيُّ ﷺ بين المُسلِمين على أساسِ قُوَّةِ التدَيُّنِ وقوَّةِ الإيمانِ، كما فاضَلَ في أحاديثَ مُتعَدِّدةٍ بين أصحابِه رَضِيَ اللهُ عنهم وغيرِهم، وفي هذا الحديثُ بَيانٌ جَلِيٌّ لفَضلِ الصَّحابةِ رضِيَ اللهُ عنهم وفَضْلِ التَّابعين وتابِعيهم، وفيه يقولُ عبْدُ اللهِ بنُ مَسْعودٍ رضِيَ اللهُ عنه: «سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ خيرٌ» مِن غَيْرِهِمْ أو أفضلُ مِنهمْ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ مُوضِّحًا أنَّ أفْضَلَ النَّاسِ هُم أهلُ زَمانِه ومَن عاصَرَ النُّبوَّةَ، وهمُ الصَّحابةُ رضِيَ اللهُ عنهم، والمرادُ بالقَرْنِ: أهلُ زَمانٍ واحدٍ، ثُمَّ القَرْنُ الذي يكونُ بعْدَ الصَّحابة، وهم التَّابِعون، ثُمَّ القَرْنُ الذي يَلي التَّابعين، وهمْ أتباعُ التَّابعين؛ فالصَّحابةُ همْ أفضلُ المسلمينَ؛ لأنَّهم عاصَروا النَّبيَّ ﷺ فقد وضَّح لهمْ أُمورَ الدِّينِ وأخَذُوه عنه مُباشرةً، فهمْ أفضلُ النَّاسِ عِلمًا بسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ ومَقاصدِ التَّشْريعِ،

(1) صحيح: أخرجه البخاري (2652)، ومسلم (2533)، والترمذي (3859)، وابن ماجه (2362)، وأحمد (4173) واللفظ له، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (6031).

(2) أخرجه البخاري ومسلم، الأوَّل: 6429، والثاني: 2533.

وعلى أَيديهِمْ تمَّ نَشْرُ الدِّينِ في الفُتوحاتِ والغَزواتِ، ثمَّ أخَذَ التَّابِعونَ العِلمَ مِنهمْ وتابَعوا مَسيرةَ الجِهادِ، وهكذا كان أتباع التابعين على عهدهم، إلى أنْ تباعدَ الزَّمانُ عنْ زَمانِ النُّبوَّةِ، فابتعدوا عن الهَدْي والسُّنَّةِ وصَحيحِ الدِّينِ شَيئًا فَشيئًا.

ثم يَأتي زَمانٌ وهو الجيل الرابع ومن بعدهم يَتهَاونُ فيه النَّاسُ في أمرِ الدِّينِ بعْدَ أنْ كانوا يَخافونَ مِن الشُّبُهاتِ، فتسبقُ شهادةُ أحدِهِمْ يمينَه، ويَسبِقُ يمينُه شَهادتَه، وهذا كِنايةٌ عن كَثرةِ شَهادةِ الزُّورِ واليمينِ، فيَشْهَدونَ دُونَ أنْ تُطلَبَ منهمُ الشَّهادةُ؛ استِهْتارًا وليسَ منْ بابِ الحِرصِ على إيصالِ الحقوقِ لأصحابِها، وكذلكَ يُقسِمونَ بالأَيْمانِ مِثل الشَّهادةِ دونَ أنْ يُطلَبَ منهم الأَيْمانُ.

ولكن يجب على الباحث أن يعلم أنَّ من بعد القرون الذهبية ليسوا سواء في الفضل فالجيل الرابع أحسن من الجيل الخامس والخامس أحسن من السادس وهكذا، وهذا لحديث الزبير بن عدي وفيه: أَتَيْنَا أنَسَ بنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إلَيْهِ ما نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقالَ: اصْبِرُوا؛ فإنَّه لا يَأْتي علَيْكُم زَمَانٌ إلَّا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه، حتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ. سَمِعْتُهُ مِن نَبِيِّكُمْ ﷺ[1]

وحديث الباب يبدو مخالِفًا في الظَّاهِرِ للحديثِ الآخَرِ عند ابنِ ماجَهْ: «خَيْرُ الشُّهُودِ مَنْ أدَّى شهادَتَهُ قَبْلَ أنْ يُسأَلَها»، والجَمعُ بينهما إمَّا بأن يُحمَلَ الذَّمُّ على من بادر بالشَّهادةِ في حَقٍّ من هو عالمٌ بها قبل أن سألها صاحِبُها، ويكونُ المدحُ لمن كانت عنده شهادةٌ لأحَدٍ لا يَعلَمُ بها، فيُخبِرُه ليستشهِدَ به عند القاضي، أو يُحمَلَ الذَّمُّ على الشَّهادةِ الباطِلةِ التي هي شهادةُ الزُّورِ.

(1) أخرجه البخاري 7068.

أمَّا المبادرةُ إلى الشَّهادةِ الصَّحيحةِ مِن أجْلِ إظهارِ الحَقِّ، وإعانةِ المظلومِ، ودَفْعِ الظُّلمِ عنه، فإنها عمَلٌ صالحٌ يُؤجَرُ ويثابُ عليه صاحِبُه، والأحاديثُ يُفَسِّرُ بَعْضُها بعضًا.

وذَكَر إبراهيمُ النَّخعيُّ –راوي الحديثِ–: وكان أصحابُنا ينهَونَنا –وفي روايةٍ للبُخاري: «يَضرِبونَنا»– وهم صِغارٌ أن نحلِفَ بالشَّهادةِ والعَهدِ، يريد: أُشهِدُ اللهَ، وعلى عَهدِ اللهِ؛ لأنهما يمينانِ مُغَلَّظانِ، وهذا مما لا يستوجِبُ في حَقِّهما أن يكونا عُرضةً وعادةً للحالِفِ، ووجهُ النَّهيِ عنهما كما ذُكِرَ أن قَولَه: أشهَدُ باللهِ، يقتضي معنى العِلمِ بالقَطْعِ، وعَهدُ اللهِ لا يقدِرُ أحَدٌ على التزامِه بما يجِبُ فيه.

وعلى العموم فَذَيْلُ الحديث ليس مراد كتابنا هذا، فمرادنا بيان فضل العصور الثلاثة، وأنَّ الراوي منهم بجماعة ممن بعده.

وفي الحَديثِ: إشارةٌ إلى لُزومِ اتِّباعِ سَبيلِ القُرونِ الثَّلاثةِ الأُولى؛ فإنَّ مَن قَرُبَ زَمنُه مِن زَمنِ النُّبوَّةِ فهو أَوْلَى بالفضْلِ والعِلمِ والتَّأسِّي والاقتداءِ بهَدْيِ النَّبيِّ ﷺ.

وفيه: أنَّ عدد من بعد العصري الذهبي، لا يجعلهم يرتقون إلى مرتبة أصحاب العصور الذهبيَّة.

وفيه: أنَّ فضل العصور الثلاثة لا يبلغه أحد، فهم معدَّول بتعديل رسول الله ﷺ، فهم على العدالة الأصلية حتَّى تأتي قرينة صريحة بينة واضحة لا وهمية ولا ظنية، تخرجهم من عدالتهم الأصلية إلى غير ذلك، وعلى هذا فلا يُنظر في عدد الرواة في العصور الذهبيَّة ليُحكم على غربة الحديث أو عزَّته أو شهرته أو استفاضته أو تواتره، بل يُنظر إلى ما بعد العصور الذهبية فيُحكم عليهم بالعددية، ويُحكم على العصور الذهبية بالخيرية، وبه فالعدل من التابعين أو أتباعهم، هو بجماعة ممن هم بعدهم.

وفيه: ذَمُّ التَّساهُل في أُمورِ الشَّهاداتِ والأَيْمانِ.



﴿الحديث الثاني﴾

عن عبدالله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ تَسمعونَ ويُسمعُ منْكم ويسمعُ مِمَّن سمعَ منْكم[1].

**********الشرح **********

وفي هذا الحديث يذكر رسول الله ﷺ ثلاثة أجيال وهم العصور الذهبية المتقدم ذكرهم في الحديث الأول، وقد قيَّد السماع بهم، فقد ذكر ثلاثة أجيال فلو جمعنا بين الحديثين وجدنا الكلام على نفس الفئة المطهَّر المزكَّاة وهم أهل القرون الذهبية، فقال: تسمعون، أي: تسمعون مني يا أصحابي، ويُسمع منكم، أي: التابعون سيسمعون منكم، إذ هم من خير العصور علما وتقوى وديانة، ثم قال: ويُسمع ممن سمع منكم: وهم أتباع التابعين، الذين تمَّ تعديلهم من قِبَلِي.

وكأنَّ رسول الله ﷺ أشار في هذا الحديث إلى اتصال السند وقوَّته فيهم، وكأنه صلى الله عليه وسلم يقول: هؤلاء هم الذين يؤخذ العلم منهم، لأنهم حملوه بالسند المتصل وهم معدلون بتعديل الله تعالى وتعديلي، فانظروا في عدالة من بعدهم، وأنَّ الخبر الآتي من هذه العصور مقطوع بصحَّة مادام سنده متصل فعضوا عليه بالنواجذ. وسيأتي بيان ذلك في الأحاديث القادمة إن شاء الله تعالى، وفيها دلالات واضحة بينة أنَّ أصحاب تلك العصور المكرَّمة هم خير الناس وأنَّ العدل منهم بجماعة ممن هم بعده.

---

(1) صحيح: أخرجه أبو داود (3659)، وأحمد (2947)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وقال البزار في البحر الزخار 266/11: روي من وجه آخر، وهذا الإسناد أحسن من الإسناد الذي يروى في ذلك، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1784.



﴿الحديث الثالث﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أوصيكُم بأصحابي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ يفشو الكذبُ حتَّى يحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفُ ويشهدَ الشَّاهدُ ولا يُستَشهَدُ ألا لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلَّا كانَ ثالثَهما الشَّيطانُ علَيكُم بالجماعةِ وإيَّاكم والفُرقةَ فإنَّ الشَّيطانَ معَ الواحدِ وَهوَ منَ الاثنَينِ أبعدُ مَن أرادَ بَحبوحةَ الجنَّةِ فلْيلزَمُ الجماعةَ، مَن سرَّتهُ حسنتُهُ وساءتْهُ سَيِّئتُهُ فذلِكم المؤمنُ[1].

********** الشرح **********

كان النَّبيُّ ﷺ كثِيرًا ما يَجمَعُ جِماعَ المواعِظِ وجوامِعَ الوَصايا، ولا جَرَمَ؛ فقد أُوتِيَ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم جوامِعَ الكَلِمِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: "أُوصِيكم بأَصْحابي"، أي: أَعطوهم حقُوقَهم وأنزِلوهم منزلَتَهم، وقدِّروهم، ولا تُهِينوهم ولا تَسُبُّوهم، "ثمَّ الَّذين يلُونَهم"، أي: وأُوصِيكم أيضًا بالَّذين يأتون مِن بَعدِهم وهم أبناؤُهم وأتباعُهم مِن التَّابعين، "ثمَّ الَّذين يَلُونَهم"، أي: وأُوصِيكم أيضًا بالجِيلِ الثَّالثِ الَّذين يأتون مِن بَعدِهم وهم أتْباعُ التَّابعين، "ثمَّ يَفْشُو الكذِبُ"، أي: ثمَّ يأتي زمانٌ بعدَ هذا الجيلِ ينتشِرُ فيه الكذِبُ ويَكثُرُ؛ وكأنَّه ﷺ أراد ذَهابَ الخيْرِ وانتشارَ الشَّرِّ بعد الجيل الثالث، وهي شهادة وتعديل أيضا منه صلى الله عليه وسلم لهذه العصور الثلاثة، فهذه وصيَّة للعصور الثلاثة، وخلاصتها لأهل العلم، أن العدل منهم بجماعة، وأنَّهم أسيادكم ومعلِّموكمُ

---

(1) صحيح: أخرجه الترمذي 2165، وأخرجه أحمد (177)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (9219) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

الخير، فكيف يقارَنُ الفرد منهم بفرد ممن هو من بعدهم، فيُقال: هذا حديث غريب لأنَّ في سنده راو واحد ليس من العصور الذهبية، ويُقال كذلك هذا حديث غريب لأنَّ فيه راو واحد وهو تابعي، فكيف يُقارن الفرد التابعي بفرد ممن هو من بعده، هذا قياس باطل؛ لأنَّه قياس أدنى، فإن كان الأمر كذلك فوصايا رسول الله ﷺ بهم وشهاداته لهم لا معنى لها، والأولى أن تحذف هذه الأحاديث وألَّا يُعمل بها، وطبعا فإنَّه لا يقبل عاقل هذا.

وعلى هذا فجزما أنَّ الفرد من العصور الذهبية هو بجماعة ممن هو من بعدهم، وعلى هذا فالحكم على الحديث غرابة أو عزَّة أو شهرة أو استفاضة أو تواترا، يكون من بعد تلك العصور.

وكذلك لا يُبحث في عدالة الصحابة، ولا يُبحث في عدالة التابعين ولا تابعيهم، بل يُحكم عليه بالأصل، وأنَّه عدل تامُّ العدالة ويبقى كذلك حتَّى تأتي قرينة واضحة بينة لا وهمية ولا شكية ولا حتَّى ظنية تصرفه من مطلق عدالته إلى غير ذلك.

ثم قال ﷺ: "حتَّى يَحلِفَ الرَّجلُ ولا يُستَحلَفَ"، أي: ويَصِلُ الأمْرُ مِن الشَّرِّ في هذا الزَّمانِ وهو بعد العصور التي أوصيت بها، أنْ يُكثِرَ الرَّجلُ الحلِفَ ولَم يُطلَبْ منه أنْ يحلِفَ؛ وذلك لِفِسْقِه وفُجورِه، "ويَشْهَدَ الشَّاهِدُ ولا يُستَشهَدَ"، أي: ويَصِلُ أيضًا الشَّرُّ بعدَ العصورِ التِي أوصيتُ بهَا أنْ يشهَدَ الرَّجلُ شهادَةَ الزُّورِ ولَم تُطلَبْ منه، إنَّما يَشهَدُها فِسْقًا وفُجورًا وفي هذا العصر وجب البحث في عدالة الروَّاة، على خلاف تلك العصور الذهبية التي أوصى وشهد لها رسول الله ﷺ.

ثمَّ قال ﷺ: "ألَا" وهي أداةٌ للتَّنبيهِ ولفْتِ انتِباهِ السَّامِعِ، "لا يَخلُوَنَّ رجلٌ بامرأَةٍ إلَّا كان ثالِثَهما الشَّيطانُ"، أي: لا ينفرِدُ رجلٌ بامرأَةٍ أجنبيَّةٍ إلَّا كان معَهما الشَّيطانُ،

فاحذَروا ذلك الأمْرَ فإنَّه قد يَسوقُكم إلى الزِّنا، "عليكم بالجماعَةِ"، أي: الزَمُوا جماعَةَ المسلِمين، ولا تَحيدوا عنها، "وإيَّاكم والفُرْقَةَ"، أي: احْذَروا التَّفرُّقَ والتَّشرذُمَ والاختِلافَ فيما بينَكم؛ فالفُرْقةُ شَرٌّ، "فإنَّ الشَّيطانَ مع الواحِدِ، وهو مِن الاثنَينِ أبعَدُ"، أي: ينفرِدُ الشَّيطانُ بالَّذين يُفارِقون الجماعَةَ ويَكونون فُرادى مُتفرِّقين، ويكونُ تأثيرُه عليهم أشَدَّ، ووسوسَتُه عليهم أقوى، أمَّا الجماعَةُ فهو منهم أبعَدُ، ولا يستطِيعُ أنْ يؤثِّرَ فيهم كما يؤثِّرُ على الفُرادى البَعِيدين عن الجماعَةِ، "مَن أراد بُحْبوحَةَ الجنَّةِ فليلْزَمِ الجماعةَ"، أي: مَن أراد أنْ يَدخُلَ الجنَّةَ ويكونَ في وسَطِ الجنَّةِ ويَظفَرَ بنعِيمِها فَلْيتمَسَّكْ بجماعَةِ المسلِمين ولا يبتعِدْ عنها ولا يخرُجْ مِن مُحيطِها، والبُحْبوحَةُ هي الوسَطُ، فبُحْبوحَةُ الدَّارِ وسَطُها وبُحْبوحَةُ الجنَّةِ وسَطُها والمراد بوسطها أي: قلب الجنَّة، "مَن سرَّتْه حسنَتُه وساءَتْه سيِّئتُه فذلكم المؤمِنُ"، أي: ومِن علاماتِ الإيمانِ إذا أذنَبَ العبْدُ أنْ يَسوءَه ذلك الذَّنبُ، ويظلَّ نادِمًا يلومُ نفسَه على ارتِكابِه ذلك الذَّنبَ، وإذا فعَل قُرْبةً للهِ عزَّ وجلَّ يظَلُّ مَسرورًا بتوفِيقِ اللهِ له، وشاكِرًا للهِ على تثبيتِه وتوفِيقِه وهدايَتِه.

ومرادنا من هذا الحديث هو قوله ﷺ "أوصيكُم بأصحابي، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم، ثمَّ الَّذينَ يلونَهم".

وفي هذا الحديث: فضل تلك العصور الثلاثة، وأنَّ فضلهم لا يبلغه فضل.

وفيه: أنَّ عدالة تلك العصور الذهبية مطلقة، وأنَّ المسلم منهم عدل أصالةً، حتَّى تأتي قرينة تصرفه من عدالته الأصلية إلى غير ذلك.

وفيه: أنَّ العدل منهم بجماعة ممن هو من بعدهم.



﴿الحديث الرابع﴾

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيَقولونَ: فِيكُمْ مَن صاحَبَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ، ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ[1].

********** الشرح **********

فإنَّ خَيرُ النَّاسِ بعْدَ الأنبياءِ هُم أصحابُ النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ تابِعُوهم، ثمَّ تابِعُو تابِعِيهم، هكذا أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في هذا الحديث صراحة.

وفي هذا الحَديثِ بَيانُ فَضلِ القُرونِ الثَّلاثةِ، وأنَّ النَّصرَ أجْراهُ اللهُ على أيدِيهم، فيُخبِرُ ﷺ أنَّه سَيأتي على النَّاسِ زَمانٌ يُجاهِدُ فيه جَماعةٌ مِنَ النَّاسِ في سَبيلِ اللهِ، فيَسألُهمُ الَّذين يَغزونَهم: هلْ فيكم أحَدٌ صَحِبَ رَسولَ اللهِ ﷺ؟ فيَقولُ المُجاهِدونَ: نَعَمْ، فينا مَن صَحِبَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فيَكونُ ذلك سَبَبًا في أنْ يَكتُبَ اللهُ الفَتحَ على أيدِيهم؛ لِفَضلِهم ومَكانَتِهم، حيث صاحَبوا رَسولَه ﷺ، وهذا بيان لبركة صحبة رسول الله ﷺ وأنَّ مقام الصحبة على اختلاف درجاتها مقام عظيم.

---

(1) صحيح: أخرجه البخاري 3649.

ثمَّ يَأتي زَمَانٌ، فيُقَالُ: هل فيكم مَن صَحِبَ أصحَابَ النَّبيِّ ﷺ؟ وهُمُ التَّابِعونَ، فيُقالُ: نَعَمْ، فيَكتُبُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ الفَتحَ على أيدِيهم؛ لِفَضلِهم وبَرَكَتِهم؛ حيث صَحِبوا أصحابَ رَسولِ اللهِ ﷺ، وتأدَّبوا بأدَبِهم، وهذا بيان واضح لعدالة التابعين المطلقة، ولفضلهم بل ولبركتهم البيِّنة في الخبر، فإنَّهم لم ينزلوا عن بركة الصحابة إلا أنهم لم يروا رسول الله ﷺ.

ثمَّ يأتي زَمَانٌ فيُقالُ: هل فيكم مَن صَحِبَ صَاحِبَ أصحَابِ النَّبيِّ ﷺ؟ وهُم أتباعُ التَّابِعينَ، فيُقالُ: نَعَمْ. فيَكتُبُ اللهُ الفَتحَ على أيديهم؛ لِفَضلِهم وبَرَكَتِهم؛ إذْ صَحِبوا مَن صاحَبَ أصحابَ رَسولِ اللهِ ﷺ، وتأدَّبوا بأدَبِهم، وتعَلَّموا مِن عُلومِهم.

وكذلك هذه دلالة واضحة على عدالة العصور الثلاثة المطلقة حيث أخبر النبي ﷺ عن فضلهم في أكثر من موضع كما ترى في هذه الأربعين، وشهد لهم بالفضل، وأوصى بهم وباتباعهم وبالاقتداء بهم، بل أنبأ بفضلهم وبركتهم في قوله: ثُمَّ يَأْتي علَى النَّاسِ زَمانٌ، فَيَغْزُو فِئامٌ مِنَ النَّاسِ، فيُقالُ: هلْ فِيكُمْ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَ أصْحابَ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُفْتَحُ لهمْ.

فبمجرَّد أنَّ في الجيش تابعيٌّ أو تباع تابعيٍّ فُتحت لهم الأمصار ببركته وفضله، فلا يقولنَّ أحدٌ بعد هذا، أنَّ هذا السند غريب لأنَّه رواه تابعي واحد، لا، بل الحكم يكون من بعد زمنهم الذهبي، وهو زمن الصحابة، ثم زمن التابعين، ثم زمن أتباع التابعين، وأن هؤلاء عدالتهم مطلقة بتعديل الله تعالى ورسوله ﷺ، وهم على عدالتهم الأصلية حتَّى يأتي صارف يصرفهم من عدالتهم الأصلية إلى غير ذلك، بأن يُشهد على تابعيٍّ أنَّه كذَّاب، فبالطَّبع هذا معزول من ديوان التَّابعين فلا يُذكر أنَّه تابعي بل يُذكر أنَّه كذَّاب، وغالب العلماء على تكفير قاصد الكذب على رسول الله ﷺ، فهو حاله

حال من رأى رسول الله ﷺ ولكنَّه كافر به، فهذا ليس صحابيا معه أنَّه رأى رسول الله ﷺ، فكذلك من كذب على رسول الله ﷺ من التابعين قاصدا، فهو ليس تابعيًّا مع أنَّه صحب أصحاب رسول الله ﷺ.

وفي الحَديثِ: عَلَمٌ مِن أعلامِ النُّبُوَّةِ، حيث أنبأ النبي ﷺ، على غيب وقد وقع ما أنبأ به.

وفيه: فَضيلةٌ لِأهلِ القُرونِ الثَّلاثةِ الأُولى، وأنَّ فضلهم لا يبلغه فضل، وأنَّهم بمجموع الأحاديث السابقة من ذوي العدالة المطلقة، وأنَّ الفرد منهم بجماعة ممن هم بعدهم.



﴿الحديث الخامس﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ طُوبَى لمن رآني وآمنَ بي، ومن رأَى من رآني، ومن رأَى من رأَى من رآني[1].

********** الشرح **********

طوبى: أي: هنيئا، والطوبى الحُسنى، والطُّوبَى: غبطة وسعادة، وخيرٌ دائم وهي من الطِّيب، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ}[الرعد: 29]، قال السعدي: أي: لهم حالة طيبة ومرجع حسن[2]، وقال الطبري: طوبى لهم: أي نعم لهم، وقال: غبطة لهم، وقال: فرح وقرة عين، وقال: حُسنى لهم، وهي كلمة من كلام العرب، يقول الرجل: طوبى لك: أي أصبتَ خيرًا، وقال: الخير والكرامة التي أعطاهم الله، وقال: اسم من أسماء الجنة، ومعنى الكلام، الجنة لهُم[3].

وقيل: أنَّ طوبى هي شجرة في الجنة، لقول النبي ﷺ: "طوبى شجرةٌ في الجنَّةِ، مسيرةُ مائَةِ عامٍ، ثيابُ أهلِ الجنةِ تخرجُ مِنْ أَكْمامِها"[4].

---

(1) حسن لغيره بهذا السند، ففي السند يغنم بن سالم ضعفوه، ولكن جاء من طريق آخر يقويه وهو طريق عبد الله بن بسر، صححه الألباني في صحيح الجامع 3625، وقال في السلسلة الصحيحة: حسن بمجموع طرقه 1254، وأخرجه ابن أبي عاصم في ((السنة)) (1486)، والفسوي في ((المعرفة والتاريخ)) (351/2)، والحاكم (6994) واللفظ له، وسير أعلام النبلاء 432/20، وحسنه الأرناؤوط وقال: له طريق آخر يتقوى به الحديث، وحديث الباب أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (6106)، (110/3)، والدارقطني في ((المؤتلف والمختلف)) (624/2) باختلاف يسير، والذهبي في ميزان الاعتدال 459/4، والهيتمي في مجمع الزوائد 10/23، فكلا الحديثين يقويان بعضهما.

(2) تفسير السعدي.

(3) نفسير الطبري.

(4) قد روي من عدة طرق بعدة أوجه منها الصحيح ومنها الضعيف، وهذا رواه السيوطي في الجامع الصغير وصححه 5294، وحسنه الألباني في صحيح الجامع 3819، وفي السلسلة الصحيحة قال: لا بأس به 1985.

وفي هذا الحديث يُبشر رسول الله ﷺ المؤمنين من الأجيال الثلاثة المباركة.

فقوله: "طوبى لمن رآني وآمن بي" فهذا خطاب خاص بالصحابة رضي الله عنهم، أي هنيئا لصحابتي وهم كل لقيني وهو مؤمن بي ومات على ذلك، ليشمل هذا الخطاب الأعمى، فهو من جملة من رأى رسول الله ﷺ مع أنه لم يره بعينيه البصيرة ولكنَّه رآه بعيني قلبه حين آمن به، فطوبى له، ومنهم ابن أمِّ مكتوم الأعمى رضي الله عنه.

ثمَّ قال ﷺ: "ومن رأَى من رآني" أي: من رأى صحابتي وهو مؤمن وهم التابعون، وحتى إن كان أعمى، عطفا على الصحابي الأعمى، فالواو في الجملة الثانية عطفت الحكم من الجملة الأولى، فطوبى هي لكل من رأى رسول الله ﷺ مؤمنا به، وكذلك حكم الإيمان في من رأى الذي رأى رسول الله ﷺ فطوبى له، ليدخل فيه الأعمى كما دخل في الصحابة.

ثم قال ﷺ: "ومن رأَى من رأَى من رآني" وهم أتباع التابعين فطوبى لهم، كما أنَّ لهم حكم من سبقهم من التابعين والصحابة، فطوبى لكل من رآى رسول الله ﷺ وآمن به، من الأجيال الثلاثة المذكورة في الحديث لتشمل البشارة الأعمى المؤمن.

ففي الحديث: ذكر ثلاثة أجيال، كما في الأحاديث السابقة، وخصَّهم بالبشرى.

وفي الحديث: فضل المؤمنين من هذه الأجيال الثلاثة، وأنَّه ليس لهم مثل على اختلاف درجات كل مراتبهم.

وفي الحديث: إشارة لإنزالهم منازلهم، وإعطائهم قدرهم وحقَّهم، وعدم مقرانتهم بمن بعدهم مهما علا شأنه.

وفي الحديث: تعديل من رسول الله ﷺ لهؤلاء الأجيال المباركة الثلاثة.



﴿الحديث السادس﴾

عن واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رآني وصاحَبَني، واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رآني وصاحبَ مَن صاحَبَني، واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رأى مَن رآني وصاحَبَ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَني[1].

**********الشرح **********

وهذا الحديث آية في الدلالة والبيان على أنَّ المؤمنين من أصحاب العصور الذهبيَّة الثلاثة معدَّلون بتعديل رسول الله ﷺ وأنَّ عدالتهم مطلقة لا يشوب ذلك شك، فقوله: "لا تَزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رآني وصاحَبَني" لأنَّه بمثابة خليفةٍ لرسول الله ﷺ في الوعظ والعلم، فالنَّاس لا تزال بخير ما دام فيهم صحابيٌّ يُرشدهم بإرشاد رسول الله ﷺ ويعلمهم من علم رسول الله ﷺ، وكأن رسول الله ﷺ يقول: عليكم بهم والزموهم والزموا فتاويهم، ولا تبارحوهم في حال الشبهات وتحكِّموا عقولكم للبحث عن الفتاوى، فهؤلاء يكفونكم مؤونة ذلك، فحكمهم من حكمي، ورأيهم من رأي، وعلمهم من علمي، فعليكم بهم، ثمَّ يظنُّ السامع أنَّ الخير سينتهي مع انتهاء أجيال الصحابة الكرام، فيقسم رسول الله ﷺ ويقول: "واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رآني وصاحبَ مَن صاحَبَني" أي: لا تزالون بخير ما دام فيكم تابعيٌّ، فاتَّبعوا

---

(1) صحيح: أخرجه ابن ابي عاصم في السنة 1481، والوادعي في الصحيح المسند 1213، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: إسناده جيد رجاله رجال الصحيح، وحسنه ابن حجر في فتح الباري وقال: 7/7، وقال: إسناده حسن.

فتاويه فعلمه من علم أصحابي وعلم أصحابي من علمي فالزموهم، ثم يعيد رسول الله ﷺ ويُقسم ويقول: "واللَّهِ لا تزالونَ بخَيرٍ ما دامَ فيكُم مَن رأى مَن رأى مَن رآني وصاحَبَ مَن صاحَبَ مَن صاحَبَني" فيذكر ﷺ الجيل الثالث وهم أتباع التابعين، أي: الزموهم واقتدوا به، فعلمهم من علم من تبع أصحابي، وعلم من تبع أصحابي من علم أصحابي، وعلم أصحابي من علمي، فالزموهم والزموا فتاويه فهم خير أهل الأرض فالزموهم.

فلاحظ معي أنَّ الخير مازال مادام في أرض من تبع تابعيًا، ثمَّ يكثر الكذب وشهادة الزور ويقل العلم بعدهم كما في الأحاديث السابقة، فهؤلاء وجودهم بركة وكلامهم حكمة، ثمَّ يأتي بعد ذلك شخص يضع تابعيًّا على ميزان الجرح والتعديل، ويقول لا يُقبل منه حديث حتى يُبحث في عدالته، أو هو مجهول الحال، والصحيح أنَّ عدالته مطلقة لا يُبحث فيها، ويبقى الأمر على أصله وأنهم معدَّلون بتعديل رسول الله ﷺ حتَّى يأتي صارف يصرفهم من مُطلق عدالتهم إلى غير ذلك.

وفي الحديث: أنَّ الخير كل الخير، في العصور الذهبية الثلاثة.

وفي الحديث: تعديل من رسول الله ﷺ لمؤمني هذه العصور المبجلَّة.



﴿الحديث السابع﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا شَبِعْتُمْ مِنَ الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ؟ فَضَحِكُوا وَكَبَّرُوا سَاعَةً، ثُمَّ قَالُوا: مَتَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْكُمْ أَلْوَانٌ وَغَدَوْتُمْ بِثِيَابٍ، وَجِئْتُمْ بِأُخْرَى؟ قَالُوا: مَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا فُتِحَتِ الْأَمْصَارُ، وَفُتِحَتْ فَارِسُ وَالرُّومُ، قَالُوا: فَهُمْ خَيْرٌ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ يُدْرِكُونَ الْفُتُوحَ، قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءُ أَبْنَائِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِهِمْ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ[1].

********** الشرح **********

ومرادنا من الحديث هو قوله ﷺ: "قَالُوا: فَهُمْ خَيْرٌ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ يُدْرِكُونَ الْفُتُوحَ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ، وَأَبْنَاءُ أَبْنَائِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِهِمْ.

فلمَّا ذكر رسول الله ﷺ الفتوحات والخيرات التي ستأتي، ظنَّ الصحابة أنَّ مؤمني ذلك العصر خيرا منهم فقال الرسول ﷺ: "بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ"، أي: أنتم يا أصحابي خير من كلِّ من سيأتي بعدكم، ثمَّ أردف وقال ﷺ: "وَأَبْنَاؤُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَائِهِمْ" وأبناء الصحابة هم التابعون، فهم خير ممَّن سيأتي من بعدهم، لأنَّ الكلام على عصر لا

(1) حسن لغيره: أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده 1034، في سنده رشدين بن سعد ثقة عدل لكنَّه قليل الضبط، وفي سنده خالد بن القاسم، اتَّهموه، ولكنَّ متن الحديث تشهد له كل الأحاديث السابقة بالمعنى في فضل العصور الثلاثة، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية 4169، وأخرجه الهيتمي في بغية الباحث بزوائد مسند الحارث 1038.

يلحقه معظم الصحابة، فالصحابة خير ممن هم بعدهم، ومن بعدهم وهم أبناؤهم التابعون خير ممن سيأتي من بعدهم، إلى ختم رسول الله ﷺ بقوله: "وَأَبْنَاءُ أَبْنَائِكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَبْنَاءِ أَبْنَائِهِمْ" وهم الجيل الثلاث، وهو جيل أتباع التابعين، فهم خير ممن سيأتون من بعدهم.

وفي الحديث: توكيد لخيريَّة تلك الأجيال الثلاثة.

وفيه: أنَّ من بعدهم مهما فتحوا من الأمصار ومهما نشروا الدين والحق فإنَّهم لن يبلغوا مرتبة الأجيال الذهبية الثلاثة.

وفيه: سلامة قلوب الأجيال الثلاثة، وأنَّ من بعدهم ليسوا مثلهم لقوله ﷺ: "لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ، لَمْ يَأْخُذُوا بِشُكْرٍ" أي: لما فتحت لهم الأمصار وأكلوا من الخيرات لم يشكروا الله تعالى حقَّ شكره، وذلك سبب نزولهم عن مرتبة العصور الذهبيَّة الثلاثة، والله أعلم.



﴿الحديث الثامن﴾

عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: لَنْ تَمَسَّ النَّارُ مُسْلِمًا رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي[1].

*********** الشرح **********

جاء في تحفة الأحوذي: قوله: "لا تمس النار مسلما رآني، أو رأى من رآني" قال الشيخ عبد الحق الدهلوي في ترجمة المشكاة ما معربه: خصص هذا الحديث هذه البشارة بالصحابة والتابعين اتفاقا منهم[2].

وأقول والظَّاهر والله أعلم أنَّ أتباع التابعين داخلون في هذه البشارة لما سبق من عطفهم على التابعين سابقا في كل الأحكام والمدح والبشائر، وبه قال موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري وهو من أوساط أتباع التابعين ولم يرى الصحابة، ليحيى بن حبيب بن عربي البصري وهو من كبار الآخذين عن تبع الأتباع ممن لم يلق التابعين: (وقد رأيتني) بصيغة الخطاب (ونحن نرجو الله) أي: أن يدخلنا في هذه البشارة.

فيحيى بن إبراهيم من أتباع التابعين وقد رأى طلحة بن خراش، وهو من التابعين، وكان يرجو أن يكون من جملة البشارة، والظاهر وكما قلنا أنَّ ما سبق من

---

(1) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة 1484، وبنحوه أخرجه الترمذي في سننه وحسنه 3858، وصححه السيوطي في الجامع الصغير 9848، وحسنه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح 5958، وحسنه الوادعي في الفتاوى الحديثية 230/2.

(2) تحفة الأحوذي 243/10.

الأحاديث يدل على أنَّ أتباع التابعين إن شاء الله تعالى داخلون في هذه البشارة المباركة، بل يحيى بن إبراهيم كان يرجو أن يدخل يحيى بن الحبيب في البشارة وهو من تبع أتباع التابعين.

وكل المذكورين هم سند حديث الباب وينتهي إلى جابر بن عبدالله.

وأمَّا من رآى النبي ﷺ في المنام هل هو داخل في هذه البشارة؟

الأمر فيه كلام وتفصيل.

القول الأوَّل:

أنَّه داخل في هذه البشارة ودلالة ذلك، قوله ﷺ: "ومَن رَآنِي في المَنامِ فقَدْ رَآنِي؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَمَثَّلُ في صُورَتِي"[1]. فقد أَخْبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في هذا الحديثِ أنَّ الشَّيطانَ لا يَتمثَّلُ في صُورتِه صلَّى اللهُ عليه وسلّم، وأنَّ مَن رآه في المنامِ على هَيْئتِه ووصْفِه المعروفِ المَنقول إلينا في كُتُبِ السُّنَّةِ ولو في أيِّ مَرحَلةٍ مِن مَراحِلِ حَياتِه، فإنَّه يكونُ رأى النبي ﷺ حَقيقةً.

ويشهد له الحديث الصحيح وفيه: "من رآني في المنامِ فقد رآني في اليقظةِ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّلُ على صورتي"[2].

أي أن من رأى النبيَّ ﷺ في المنام فمثله مثل من رآه في اليقظه، وعلى هذا فله حكم من رآه في اليقظة.

---

(1) أخرجه البخاري (6197)، ومسلم (2134) مختصراً.

(2) صحيح أخرجه الترمذي (**2276**)، وابن ماجه (**3900**) واللفظ له، وأحمد (**3559**).

ولكنَّ كل هذا بشرط؛ أن يرى رسول الله ﷺ على شكله الحقيقي في أي مرحلة من مراحل حياته، فإن رآى غير شكل النبي ﷺ فهو ليس هو، ولا يحمل حكم من رأى النبي ﷺ، كما يجب أن يُعلم أنَّ من رأى رسول الله ﷺ على هيأته الحقيقيَّة، فإن أمره بشيء أو نهاه بشيء فإنَّه ليس مطالبا بتنفيذه، كما يجب أن يوزن بميزان الشرع إن أراد التنفيذ، فإن وافق الشرع فبها وإن لا فلا، وكما قلت فإنَّ من رأى النبي ﷺ في المنام على هيأته الحقيقية فإنه ليس مطالبا بتنفيذ أوامره، هذا لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة: 3]، قال السعدي: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه[1]، والمعنى: انَّ الدين كامل وأنَّ أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته شرع، فإنَّ الرائي إن رآى النبي ﷺ وأمره بشيء فلا يظنَّن انَّه شرع واجب تنفيذه، فقد تمَّ الشرع، ولكن يندب استحبابا القيام بأوامر رسول الله ﷺ مناما إن كان موافقة للشرع.

والقول الثاني:

أنَّ من رأى النبي ﷺ في المنام فهو غير داخل في البشارة، لأنَّ المنام غير حقيقة، وهو عالم مستقل عن عالمنا الأصلي، والذي نزلت فيه شرائع الله تعالى وأحكامه هو العالم الحقيقي، والمقصود في البشارة الرؤية الحقيقيَّة أي: في اليقظة.

---

(1) تفسير السعدي.

الترجيح:

يرجَّح القول الأوَّل على الثاني، وهذا من عدَّة وجوه:

الوجه الأول:

أنَّ النبي ﷺ صرَّح بأن من رآه في المنام فق رآه في اليقظة في قوله: "من رآني في المنامِ فقد رآني في اليقظةِ" فقوله فقد رآني في اليقظة تصريح بأنه رآه في الحقيقة في اليقظة لا في النوم.

الوجه الثاني:

أنَّ القائل بأنَّ المنام عالم مستقل وأنَّ الشرائع نزلت في اليقظة، هذا غير صحيح، لأنَّ معظم الشرائع التي في شرعنا وشرع من قبلنا نزلت مناما، فمن شرعنا تشريع الأذان برؤية صحابيين جليلين وهما عبد الله بن زيد الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وأقر رسول الله ﷺ ذلك، فهذا شرع منامي بغضِّ النظر عن الإقرار، وكذلك نبي الله إبراهيم عليه وعلى رسول الله الصلاة والسلام، فقدكان سيذبح ابنه برؤية منامية، قال تعالى على لسان إبراهيم: {قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}[الصافات: 102]، قال الطبري: فلما بلغ إسحاقُ مع أبيه السَّعْي أُرِيَ إبراهيم في المنام، فقيل له: أوف لله بنذرك، ورؤيا الأنبياء يقين[1].

---

(1) تفسير الطبري.

فهاهو إبراهيم عليه السلام يكاد يذبح ابنه برؤية ويُؤكد الطبري بأن رؤيا الأنبياء يقين لا شك فيه، ويُوضح إسماعيل عليه السلام الأمر بقوله: "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" فقوله افعل ما تؤمر أي أنَّه أمر، والأمر للوجوب، وبالنسبة للأنبياء الأمر للوجوب سواء يقظة أم مناما كما هو واضح.

ونخرج من هذا أنَّ الشرائع تنزل يقظة وتنزل مناما، فقول من قال أنَّ الشرع ينزل يقظة فقط مردود.

والوجه الثالث:

أنَّ البشارة إن لحقت من رأى رسول الله ﷺ على هيئة الحقيقية مناما، فهذا فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء، ولو قسنا بين الدليلين نجد أنَّ الرافظ بأن يكون الرائي مناما داخل في البشارة لا حجة له سوى استنتاجات عقلية، وأمَّا من قال بأنه داخل في البشارة فله أدلَّة من أحاديث نبوية، فنرجو من الله تعالى أن يكون المؤمن الرائي لرسول الله ﷺ على هيأته الحقيقة من جملة المبشَّرين، و{ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}[الجمعة: 4].

وفي الحديث: دلالة من دلالات النبوَّة، وهي البشارة بتحريم النار على من رأى رسول الله ﷺ أو من رأى من رآه.

وفيه: فضل من رأى أصحاب رسول الله ﷺ أي: التابعين، ومن تبعهم غالبا.

وفيه: فضل المؤمنين من الأجيال الذهبية الثلاثة، بأنهم محرَّمون على النَّار.

وفيه: تعديل مطلق للأجيال الثلاثة، فلا يحتاجون إلى تعديل بعد هذا.



﴿الحديث التاسع﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأنْصارَ، وأبْناءَ الأنْصارِ، وأبْناءَ أبْناءِ الأنْصارِ...[1].

************** الشرح **************

وهذا دُعاءٌ بالرحمة مِنَ النَّبيِّ ﷺ لِلأنصارِ وذَراريِّهم ومن بعدهم؛ وذلكَ لِمَا لِأُصولِهم مِنَ القِيامِ في نُصرةِ الدِّينِ وإيواءِ النَّبيِّ ﷺ ومَن معه حالَ شِدَّةِ الخَوفِ والضِّيقِ والعُسْرةِ، وَحِمايتِهم له حتَّى بَلَّغَ أَوامِرَ رَبِّه، وأظهَرَ الدِّينَ وأَسَّسَ قَواعِدَ الشَّريعةِ، فَعادَتْ مَآثِرُهمُ الشَّريفةُ على أَبنائِهم وذُرِّيَّاتِهم.

وعلى كل الحال فالأنصار هم الجيل الأوَّل، وأبناؤهم هم التابعون، وأبناء أبنائهم هم أتباع التابعين، فلا زلن بهذا في فضل الأجيال الثلاثة المباركة وفضل الصحابة.

---

(1) أخرجه أحمد (11730) واللفظ له، وابن أبي شيبة (33018)، وأبو يعلى (1092) والعراقي في محجة القلوب 259، والهيتمي في مجمع الزوائد 32/10، والوادعي في الصحيح المسند 402، وقال الأرناؤوط في تخريج زاد المعاد 3/416: إسناده حسن، وقال الألباني في فقه السيرة 395: صحيح.

والحديث بطوله: قال أبو سعيد: لمَّا أصابَ رسولُ اللهِ ﷺ الغنائمَ يَومَ حُنَينٍ، وقسمَ للمُتألَّفينَ مِن قُرَيشٍ وسائرِ العربِ ما قسمَ ، ولَم يكُن في الأنصارِ شيءٌ مِنها، قليلٌ ولا كثيرٌ، وجدَ هذا الحَيُّ مِن الأنصارِ في أنفسِهِم حتَّى قال قائلُهُم : لَقيَ – واللهِ – رسولُ اللهِ قَومَهُ. فمشَى سعدُ بنُ عُبادةَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنَّ هذا الحَيَّ مِن الأنصارِ وَجدوا علَيكَ في أنفسِهِم؟ قالَ: فيمَ؟ قالَ: فيما كانَ مِن قَسمِكَ هذهِ الغنائمِ في قَومِكَ وفي سائرِ العربِ، ولَم يكُن فيهِم مِن ذلكَ شيءٌ. قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: فأينَ أنتَ مِن ذلكَ يا سعدُ ؟ قالَ: ما أنا إلَّا امرؤٌ مِن قَومي. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: اجمَعْ لي قَومَكَ في هذهِ الحظيرةِ فإذا اجتمَعوا فأعلِمني، فخرجَ سعدُ فصرخَ فيهِم فجمعَهم في تلكَ الحظيرةِ . . . حتَّى إذا لَم يبقْ مِن الأنصارِ أحدٌ إلَّا اجتمعَ لهُ أتاهُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ اجتمعَ لكَ هذا الحَيُّ مِن الأنصارِ حَيثُ أمرتَني أن أجمعَهُم. فخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقامَ فيهِم خطيبًا فحمِدَ اللهَ وأثنَى علَيهِ بما هوَ أهلُهُ، ثمَّ قالَ: يا معشرَ الأنصارِ ألَم آتِكُم ضُلَّالًا فهداكُم اللهُ، وعالةً فأغناكُم اللهُ، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بينَ قلوبِكُم؟ قالوا: بلَى! قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ألا تجيبونَ يا معشرَ الأنصارِ؟ قالوا: وما نقولُ يا رسولَ اللهِ وبماذا نُجيبُكَ؟ المَنُّ للهِ ورسولِهِ. قالَ: واللهِ لَو شِئتُم لقُلتُم فصدَقتُم وصُدِّقتُم: جئتَنا طريدًا فآوَيناكَ، وعائلًا فآسَيناكَ، وخائفًا فأمَّنَّاكَ، ومَخذولًا فنصَرناكَ . . . فقالوا: المَنُّ للهِ ورسولِهِ. فقال: أوَجَدتُم في نُفوسِكُم يا مَعشرَ الأنصارِ في لُعاعَةٍ مِن الدُّنيا تألَّفتُ بِها قَومًا أسلَموا، ووَكَلتُكُم إلى ما قسمَ اللهُ لكُم مِن الإسلامِ! ! أفَلا تَرضَونَ يا مَعشرَ الأنصارِ أن يذهبَ النَّاسُ إلى رِحالِهِم بالشَّاءِ والبَعيرِ وتذهَبونَ برسولِ اللهِ إلى رِحالِكُم؟ فَوالَّذي نَفسي بيدِهِ، لَو أنَّ النَّاسَ سَلَكوا شِعبًا وسَلَكتِ الأنصارُ شِعبًا، لسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ، ولَولا الهجرةُ لكُنتُ امْرَأً مِن الأنصارِ. اللَّهمَّ ارحَمْ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ. فبكَى القَومُ حتَّى أخضَلوا لِحاهُم. وقالوا: رَضينا باللهِ رَبًّا، ورسولِهِ قسمًا، ثمَّ انصرفَ وتفرَقوا.



﴿الحديث العاشر﴾

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللَّهمَّ اغفرْ لأصحابِي ولمنْ رأَى منْ رآنِي[1].

********** الشرح **********

وفي هذا الحديث يدع الرسول ﷺ بالمغفرة لأصحابه رضي الله عنهم الذين رأوه، ولمن رأى من رآه، سواءكان في عصر النبوَّة أو من بعدهم من التابعين.

وهل الجيل الثالث داخل في الدعوة؟

الظاهر والله أعلم أنهم داخلون في الدعوة بما بينَّاه في الحديث الثامن.

وفي الحديث: خصوصية الأجيال الثلاثة بدعوة رسول الله ﷺ بالمغفر.

وفيه: فضل الأجيال الثلاثة لما اختصَّهم رسول الله ﷺ بدعائه.

وفيه: فضل من رأى رسول الله ﷺ ومن رأى من رآه.

---

(1) أخرجه البخاري في ((التاريخ الكبير)) (6/109) بنحوه، والطبراني (6/166) (5874)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (3/254) باختلاف يسير، وقال الشوكاني في در السحابة 32: إسناده رجاله رجال الصحيح.



﴿الحديث الحادي عشر﴾

عن عمرو بن عوف بن يزيد بن ملحة المزني رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: يَا معشرَ قريش احفظونِي فِي أصحابِي وأبنائهمْ وأبناءِ أبنائهمْ...[1].

**********الشرح**********

وهنا يوصي رسول الله ﷺ النَّاس عامَّة، فرأس الأمر قريش فإن كانت الوصيَّة لهم فمن دونهم أولى منهم بالوصيَّة، فيقول ﷺ: احفظوني في أصحابي: أي لا تؤذوني بأذيَّتهم، وتؤذوني بسبهم أو شتمهم، ثم يُلحق عليهم التابعين بقوله: وأبنائهم، ثمَّ يُلحق أتباع التابعين بقوله: وأبناء أبنائهم.

وهذا الحديث يتابع الحديث السابق ويشهد له بأنَّ أتباع التابعين داخلون في البشارة والدعوة بالمغفرة، فكل حديث فيه بشارة للصحابة والتابعين أو دعوة لهم، فأتباع التابعين داخلون في ذلك، لما تشهد له الأحاديث بأنهم منهم في كل مدح ومغفرة ودعوة.

وفي الحديث: شرف الأجيال الثلاثة المباركة.

وفيه: أنَّ من إكرام رسول الله ﷺ إكرام أصحابه ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم.

---

(1) حسن لغيره: مجمع الزوائد للهيتمي 8986، ورواه الطبراني (12/17)، وفيه كثير بن عبد الله بن عمرو المزني، وهو ضعيف وقد حسن له الترمذي، وبقية رجاله ثقات.

وهو حسن لغيره بمجمع الأحاديث التي تشهد له بالمعنى. من ذلك حديث عمر بن الخطاب: احفَظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذبُ، حتى يشهدَ الرجلُ وما يُستَشهَدُ، ويحلِف وما يُستحلَفُ. وصححه الألباني في الصحيح الجامع 206.



﴿الحديث الثاني عشر﴾

عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتَّخِذوا أصحابي غَرَضًا بعدي، فمَن أحَبَّهم فبِحُبِّي أحَبَّهم، ومَن أبغَضهم فبِبُغْضي أبغَضهم، ومَن آذاهم فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى اللهَ، ومَن آذى اللهَ يوشِكُ أنْ يأخُذَه[1].

********** الشرح **********

فقوله ﷺ: الله الله في أصحابي، أي: أذكرِّكم الله تعالى في أصحابي، بمعنى اتقوا الله في أصحابي.

وقوله ﷺ: لا تتحذوا أصحابي غرضا: الغرض: الهدف الذي يرمى إليه، كناية على استهدافهم بالغيبة أو السب والشتم.

---

(1) حسن لغيره: تشهد له بالمعنى كل الأحاديث السابقة، أخرجه الترمذي (3862)، وأحمد (20568) وفي ((فضائل الصحابة)) (1) واللفظ له، وابن حبان في صحيحه 7256، والسيوطي في الجامع الصغير وصححه 1436، والبيهقي في شعب الإيمان 657/2 وقال: له شواهد، وأبو نعيم في حلية الأولياء 287/8، وبمثله رواه ابن أبي عاصم في السنة 992، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد، لم يوثقه غير ابن حبان وهو مجهول، والصحيح أنه مبهم وليس بمجهول فإن كان عبد الرحمن بن زياد الهاشمي فهو مقبول الحديث، وإن كان عبد الرحمن بن زياد الأفريقي فهو ضعيف الحديث وليس بمتهم، وقيل هو عبد الله بن عبد الرحمن، وهذا موثَّق وثقه أحمد بن صالح الجيلي، ووثقه يحيى بن معين، وقيل: عبد الرحمن بن زياد، وقلنا هذا مبهم غير مجهول، أحدهما وقبول الآخر ضعيف من جهة الضبط، وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه. قال الذهبي: لا يعرف. وكل من سبق هم من الأجيال الذهبية،

فأما عبد الله بن عبد الرحمن فهذا موثَّق، وأمَّا عبد الرحمن بن زياد فهو مبهم أحدهما الهاشمي فهو مقبول، والآخر الأفريقي ضعيف من جهة الضبط، فإن سلمنا بأنه الأفريقي فللحديث شواهد بالمعنى تشهد له فيرتقي، وإن كان عبد الرحمن بن عبد الله فقد وثقه ابن حبان والجيلي.

فالحديث حسن لغيره.

وقوله ﷺ: فمَن أحَبَّهم فبِحُبِّي أحَبَّهم، ومَن أبغَضهم فبِبُغْضي أبغَضهم: أي علامة حب رسول الله ﷺ حب أصحابه، وعلامة بغض رسول الله ﷺ بغض أصحابه.

وقوله ﷺ: ومَن آذاهم فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى اللهَ: أي: أنَّ الذي يؤذي أصحابي فإنَّه يؤذيني على الحقيقة لأنهم أصحابي وأحبابي وأنصاري، وإنَّه من آذاني فقد آذى الله تعالى، لأني رسول الله ونبيُّه وحبيبه، فإنَّ أذيَّتي تؤذي الله تعالى.

وقوله ﷺ: ومَن آذى اللهَ يوشِكُ أنْ يأخُذَه: أي: يوشك الله تعالى أن يُنزل عليه سخطه وعذابه، أو يوشك الله تعالى أن يقبظه فيُعذبَّه في الآخرة العذاب الأليم.

وهل التابعون وأتباعهم من جملة من أوصى بهم رسول الله ﷺ؟

الظَّاهر وبما سبق من الأحاديث من اتصال التابعين وأتباعهم بالصحابة، فإنَّ الخطاب عامٌّ للأجيال الثلاثة والله أعلم.

وفي الحديث: تعظيم شأن أصحاب رسول الله ﷺ وأنهم متصلون بالنبي ﷺ كل الاتصال؛ فإن أذيتهم تؤذي النبي ﷺ وأذية النبي تؤذي الله تعالى.

وفيه: وعيد شديد لمن يؤذي أصحاب الرسول ﷺ.



﴿الحديث الثالث عشر﴾

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: صَلَّيْنا المَغْرِبَ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قُلْنَا: لو جَلَسْنَا حتَّى نُصَلِّيَ معهُ العِشَاءَ قالَ فَجَلَسْنَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقالَ: ما زِلْتُمْ هَاهُنَا؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، صَلَّيْنا معكَ المَغْرِبَ، ثُمَّ قُلْنَا: نَجْلِسُ حتَّى نُصَلِّيَ معكَ العِشَاءَ، قالَ أَحْسَنْتُمْ، أَوْ أَصَبْتُمْ، قالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، وَكانَ كَثِيرًا ممَّا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلى السَّمَاءِ، فَقالَ: النجومُ أمنَةٌ للسماءِ، فإذا ذَهَبَتِ النجومُ أتَى السماءَ ما توعَدُ، وأنا أمنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابِي ما يوعدونَ، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتِي، فإذا ذهبَتْ أصحابي أتى أمتي ما يوعدونَ[1].

********** الشرح **********

وفي هذا الحديثِ يَحْكِي أبو موسى الأَشْعَرِيُّ رضِي اللهُ عنه أَنَّهم صَلَّوُا الْمَغْرِبَ مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ في مَسْجدِه؛ وجَلَسوا حتَّى يُصَلُّوا معه الْعِشاءَ فَخرجَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عليهم، فقالَ: ما زِلْتُم هاهنا؟ فَأجابوه أَنَّهم صَلَّوا مَعه الْمَغْرِبَ وَيَجلسونَ حتَّى يُصَلُّوا مَعه الْعِشاءَ، فَقالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَحْسَنْتُمْ أَو أَصبْتُم، فَرفَعَ رَأسَه إلى السَّماءِ وكانَ كثيرًا مِمَّا يَرفعُ رأسَه إلى السَّماء. فَقالَ: النُّجومُ أَمَنةٌ لِلسَّماءِ، فَإذا ذَهبَتِ النُّجومُ أتى السَّماءَ ما تُوعدُ، أي: إنَّ النُّجومَ ما دامَتْ باقيةً فالسَّماءُ بَاقِيةٌ، فَإِذا انْكدرَتِ النُّجومُ وَتناثرَتْ، وَهَنَتِ السَّماءُ فَانفطرَتْ وانشقَّتْ وذهبَتْ وجاء يوم القيامة، وأنا أَمَنةٌ لِأصحابي، أي: مِنَ الفِتَنِ والحروبِ وارتدادِ مَنِ ارْتَدَّ مِنَ الأعرابِ

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 2531، وابن حبان في صحيحه 7249، وصححه الأرناؤوط في صحيح ابن حبان، وصححه الألباني في الصحيح الجامع 6800.

واختلافِ القلوبِ، ونحوِ ذلك مِمَّا أَنذرَ به صريحًا، فإذا ذهبْتُ أتى أصحابِي ما يوعدونَ، وقد وقعَ كلُّ ذلك؛ فقد جاءت الفتن من عهد خلافة أبي بكر وابتدأت بالردة، ثم عادت الفتنة في خلافة عثمان، وأصحابي أمنَةٌ لأمَّتِي، أي: هم أمنة من انتشار البدع والجهل بين الناس، فإذا ذهبَ أصحابي أتى أُمَّتي ما يُوعدونَ مِن ظُهورِ البِدعِ والحوادثِ في الدِّينِ والفِتَنِ فيه.

في الحديثِ: مُعجزةُ النَّبِيّ ﷺ وهو وقوع ما نبَّأ بهِ.

وفيه: بيانُ أنَّ بقاءَ النَّبِيِّ ﷺ أمانٌ لِأصحابِه، وبقاءَ أصحابِه أمانٌ لِلأمَّةِ.

وفيه: أنَّ الصحابة حُماة الدين والملَّة.

وفيه: بيان عظيم فظل الصحابة.



﴿الحديث الرابع عشر﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ[1].

********** **الشرح** **********

النَّيلُ مِنَ الصِّحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهم بِسبٍّ أو قذْفٍ أو أيِّ أذًى لَيْسَ مِنَ الإسلامِ في شَيءٍ؛ لِذلكَ نَهى النَّبِيُّ ﷺ كما في هذا الحديثِ عَن سبِّ أصحابِه، وحَلَفَ بِاللهِ لَو أنَّ أحدَكُم أَنفقَ مِثلَ جبل أُحُد ذَهبًا ما بَلغَ مِنَ الْفضيلَةِ والثَّوابِ مُدَّ أحدِهِم مِنَ الطَّعامِ الَّذي أَنْفَقَه ولا نَصِيفَه، أي: نِصْفَ الْمُدِّ؛ وذلك لِمَا كان يُقارنُ عمَلَ الصَّحابةِ مِن السَّبْقِ ومَزيدِ الإخلاصِ وصِدقِ النِّيَّةِ وكمالِ النَّفْسِ، بخِلاف غيرِهم.

فقوله ﷺ: لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، توكيد لفظيٌّ فيه دلالة على هول الموقف وأنَّ تحريم سب الصحابة في أعلى درجاته.

حكم من سب الصحابة:

سَبُّ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم ليس على مرتبةٍ واحدةٍ، بل له مراتِبُ مُتفاوِتةٌ؛ فإنَّ سَبَّ الصَّحابةِ أنواعٌ ودَرَكاتٌ؛ فمنها سبٌّ يقتضي الطَّعنَ في عدالتِهم، ومنها سَبٌّ لا يوجِبُ الطَّعنَ في عدالتِهم، وقد يكونُ السَّبُّ لجميعِهم أو أكثرِهم، وقد يكونُ لبعضِهم، وهناك سبٌّ لمن تواترت النُّصوصُ بفَضْلِه، ومنهم دونَ ذلك، ويختَلِفُ الحُكْمُ باختلافِ الحالاتِ كما سيأتي بيانُه:

---

(1) أخرجه صحيح مسلم **2540**.

1 – إن كان مُستحِلًّا لسَبِّ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم، فهو كافِرٌ[1]؛ فمن المعلومِ أنَّ جميعَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم عدولٌ، وقد أجمع العُلَماءُ على عدالتِهم؛ لِما جاء في الكِتابِ والسُّنَّةِ من الثَّناءِ الحَسَنِ عليهم، والمدحِ لهم، ونَقَل الإجماعَ على عدالتِهم جمعٌ من العُلَماءِ[2].

قال ابنُ الصَّلاحِ: للصَّحابةِ بأسْرِهم خَصيصةٌ، وهي أنَّه لا يُسألُ عن عدالةِ أحَدٍ منهم، بل ذلك أمرٌ مَفروغٌ منه؛ لكونِهم على الإطلاقِ مُعَدَّلين بنُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وإجماعِ من يُعتَدُّ به في الإجماعِ من الأُمَّةِ،... ثم إنَّ الأُمَّةَ مجمِعةٌ على تعديلِ جميعِ الصَّحابةِ، ومن لابَسَ الفِتَنَ منهم فكذلك بإجماعِ العُلَماءِ الذين يُعتَدُّ بهم في الإجماعِ؛ إحسانًا للظَّنِّ بهم، نظرًا إلى ما تمهَّد لهم من المآثِرِ، وكأنَّ اللهَ سُبحانَه وتعالى أتاح الإجماعَ على ذلك؛ لكونِهم نَقَلةَ الشَّريعةِ. واللهُ أعلَمُ[3].

وقال النَّووي: وكُلُّهم عُدولٌ رَضِيَ اللهُ عنهم، ومتأوِّلون في حُروبِهم وغَيرِها، ولم يُخرِجْ شَيءٌ من ذلك أحدًا منهم عن العدالةِ،... ولهذا اتَّفَق أهلُ الحَقِّ ومن يُعتَدُّ به في الإجماعِ على قَبولِ شَهاداتِهم ورواياتِهم، وكَمالِ عَدالتِهم رَضِيَ اللهُ عنهم أجمعين[4].

وقال ابنُ كثيرٍ: الصَّحابةُ كُلُّهم عدولٌ عند أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ؛ لِما أثنى اللهُ عليهم في كِتابه العزيزِ، وبما نطَقَت به السُّنَّةُ النبويَّةُ في المدحِ لهم في جميعِ أخلاقِهم وأفعالِهم، وما بَذَلوه من الأموالِ والأرواحِ بين يَدَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ رغبةً فيما عند الله من الثَّوابِ الجزيلِ، والجزاءِ الجميلِ[5].

---

(1) يُنظر: ((الصارم المسلول)) لابن تيمية (3/ 1061).

(2) يُنظر: ((شرح مسلم)) (149/15).

(3) يُنظر: ((مقدمة ابن الصلاح)) (ص: 397).

(4) يُنظر: ((شرح مسلم)) (149/15).

(5) يُنظر: ((اختصار علوم الحديث)) (ص: 181).

وعلى هذا فسَبُّ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم كبيرة بالكِتابِ والسُّنَّةِ:

قال اللهُ تعالى: {وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا}[الحجرات: 12].

قال ابنُ جريرٍ: يقولُ تعالى ذِكْرُه: ولا يغتَبْ بعضُكم بعضًا أيُّها المؤمنون، ولا يطعَنْ بعضُكم على بعضٍ(1).

قال ابنُ تيميَّةَ: أدنى أحوالِ السَّابِّ لهم أن يكونَ مُغتابًا(2).

وقال اللهُ سُبحانَه: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ}[آل عمران: 119].

قال ابنُ جريرٍ: يعني تعالى ذِكْرُه بقَولِه: فَاعْفُ عَنْهُمْ فتجاوَزْ –يا مُحمَّدُ– عن أتباعِك وأصحابِك من المؤمنين بك وبما جِئتَ به من عندي، ما نالك من أذاهم ومَكروهٍ في نَفْسِك وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وادْعُ رَبَّك لهم بالمغفرةِ لِما أتَوْا من جُرمٍ، واستحَقُّوا عليه عقوبةً منه(3).

وقال ابنُ تيميَّةَ: محبَّةُ الشَّيءِ كراهةٌ لضِدِّه، فيكونُ اللهُ سُبحانَه وتعالى يَكرَهُ السَّبَّ لهم الذي هو ضِدُّ الاستغفارِ، والبُغضَ لهم الذي هو ضِدُّ الطَّهارةِ(4).

فسَبُّ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم كبيرةٌ من كبائِرِ الذُّنوبِ؛ لِما ترَتَّبَ عليه من الوَعيدِ باللَّعنةِ، واستحلالُ سَبِّهم إنكارٌ لِما عُلِمَ تحريمُه من الدِّينِ بالضَّرورةِ؛ ومِن ثَمَّ فهو خروجٌ عن المِلَّةِ.

قال مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ: (فإذا عرَفْتَ أنَّ آياتِ القُرآنِ تكاثَرت في فَضْلِهم، والأحاديثَ المتواتِرةَ بمجموعِها ناصَّةٌ على كَمالِهم،... فإنِ اعتَقَد حقِّيَّةَ سَبِّهم أو إباحتَه، فقد كَفَر؛ لتكذيبِه ما ثبت قطعًا عن رَسولِ اللهِ ﷺ، ومُكَذِّبُه كافِرٌ(5).

---

(1) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (21/ 366).

(2) يُنظر: ((الصارم المسلول)) (3/ 1067).

(3) يُنظر: ((تفسير ابن جرير)) (6/ 188).

(4) يُنظر: ((الصارم المسلول)) (3/ 1071).

(5) يُنظر: ((الرد على الرافضة)) (ص: 18).

2 – أن يَسُبَّ جميعَ الصَّحابةِ أو جمهورَهم سبًّا يَقدَحُ في دينِهم وعدالتِهم، كأنْ يرميَهم بالكُفرِ، أو الفِسْقِ، أو الضَّلالِ.

قال عِياضٌ: نقطَعُ بتكفيرِ كُلِّ قائلٍ قال قولًا يُتوصَّلُ به إلى تضليلِ الأُمَّةِ، وتكفيرِ جميعِ الصَّحابةِ، كقَولِ الكميليَّةِ[1] من الرَّافِضةِ بتكفيرِ جميعِ الأُمَّةِ بعد النَّبيِّ ﷺ،... لأنَّهم أبطَلوا الشَّريعةَ بأَسْرِها؛ إذ قد انقَطَع نَقْلُها ونَقْلُ القُرآنِ؛ إذ ناقِلوه كَفَرةٌ على زَعمِهم، وإلى هذا –واللهُ أعلَمُ– أشار مالِكٌ في أحَدِ قَولَيه بقَتلِ من كفَّر الصَّحابةَ[2].

وقال ابنُ تيميَّةَ: أمَّا من جاوز ذلك إلى أنْ زَعَم أنَّهم ارتدُّوا بعد رَسولِ اللهِ ﷺ إلَّا نفَرًا قليلًا لا يَبلُغون بضعةَ عَشَرَ نَفْسًا، أو أنَّهم فَسَّقوا عامَّتَهم، فهذا لا ريبَ أيضًا في كُفْرِه؛ فإنَّه مُكَذِّبٌ لِما نصَّه القُرآنُ في غيرِ مَوضِعٍ من الرِّضا عنهم والثَّناءِ عليهم، بل من يَشُكُّ في كُفرِ مِثلِ هذا فإنَّ كُفْرَه مُتعَيِّنٌ؛ فإنَّ مضمونَ هذه المقالةِ أنَّ نَقَلةَ الكِتابِ والسُّنَّةِ كُفَّارٌ أو فُسَّاقٌ، وأنَّ هذه الأُمَّةَ التي هي {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[آل عمران: 110]، وخيرُها هو القَرْنُ الأوَّلُ، كان عامَّتُهم كُفَّارًا أو فُسَّاقًا، ومَضمونُها أنَّ هذه الأُمَّةَ شَرُّ الأُمَمِ، وأنَّ سابِقي هذه الأُمَّةِ هم شِرارُها، وكُفرُ هذا ممَّا يُعلَمُ بالاضطرارِ من دينِ الإسلامِ[3].

وقال السُّبكي: إنَّ سَبَّ الجَميعِ لا شَكَّ أنَّه كُفرٌ،... وعلى هذا ينبغي أن يُحمَلَ قَولُ الطَّحاوي: وبُغْضُهم كُفرٌ؛ فإنَّ بُغضَ الصَّحابةِ بجُملتِهم لا شَكَّ أنَّه كُفرٌ[4].

---

(1) الكميلية: أصحاب أبي كامل، وهم فِرقةٌ من غُلاة الشيعة، كفَّروا جميعَ الصحابة، وقالوا بالتناسُخِ والحلولِ. يُنظر: ((الملل والنحل)) للشهرستاني (174/1)، ((اعتقادات فرق المسلمين)) للرازي (ص 60).

(2) يُنظر: ((الشفا)) (2/ 286).

(3) يُنظر: ((الصارم المسلول)) (3/ 1110).

(4) يُنظر: ((فتاوى السبكي)) (575/2).

وقال ابنُ كثيرٍ: من ظَنَّ بالصَّحابةِ رِضوانُ اللهِ عليهم ذلك أي: كِتمانَ الوَصِيَّةِ لعَليٍّ بالخِلافِ؛ فقد نسَبَهم بأجمعِهم إلى الفُجورِ والتواطُئِ على معاندةِ الرَّسولِ ﷺ، ومضادَّتِه في حُكْمِه ونَصِّه، ومن وصل من النَّاسِ إلى هذا المقامِ فقد خلع رِبقةَ الإسلامِ، وكَفرَ بإجماعِ الأئِمَّةِ الأعلامِ، وكان إراقةُ دَمِه أحَلَّ مِن إراقةِ المُدامِ[1].

وقال ابنُ حجر الهيتمي: إنَّ تكفيرَ جميعِ الصَّحابةِ كُفرٌ؛ لأنَّه صريحٌ في إنكارِ جميعِ فُروعِ الشَّريعةِ الضَّروريةِ فَضلًا عن غَيْرِها[2].

وذكر مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ أنَّ القَولَ بارتدادِ الصَّحابةِ عدا خمسةَ أو سِتَّةَ نَفَرٍ هو: هَدمٌ لأساسِ الدِّينِ؛ لأنَّ أساسَه القُرآنُ والحديثُ، فإذا فُرِض ارتدادُ من أخَذَ مِن النَّبيِّ ﷺ إلَّا النَّفَرَ الذين لا يبلُغُ خبَرُهم التواتُرَ، وقع الشَّكُّ في القُرآنِ والأحاديثِ[3].

وقال أيضًا: من نَسَب جُمهورَ أصحابِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إلى الفِسْقِ والظُّلمِ، وجَعَل اجتماعَهم على الباطلِ، فقد ازدرى بالنَّبيِّ ﷺ، وازدراؤه كُفرٌ[4].

وقال أيضًا: القُرآنُ مَشحونٌ مِن مَدحِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم، فمن سَبَّهم فقد خالف ما أمَرَ اللهُ – تعالى – من إكرامِهم، ومن اعتقد السُّوءَ فيهم كُلِّهم أو جمهورِهم، فقد كَذَّب اللهَ تعالى فيما أخبَرَ مِن كَمالِهم وفضائِلِهم، ومُكَذِّبُه كافِرٌ[5].

---

(1) يُنظر: ((البداية والنهاية)) (8/ 99).

(2) يُنظر: ((الإعلام بقواطع الإسلام)) (ص: 170).

(3) يُنظر: ((الرد على الرافضة)) (ص: 13).

(4) يُنظر: ((الرد على الرافضة)) (ص: 8).

(5) يُنظر: ((الرد على الرافضة)) (ص: 17).

وقال مُحمَّدٌ العربيُّ بنُ التُّبَانيِّ: لقد بَعُد عن جادَّةِ الحَقِّ وضَيَّق واسِعًا من تحَكَّم برأيِه على المعطي المتفَضِّلِ المنَّانِ، فزَعَم أنَّهم كَفَروا كُلُّهم إلَّا خمسةً أو ستةً، فعقيدةُ هذه الطَّائفةِ يعني الرَّافِضةَ في تكفيرِهم جميعَ الصَّحابةِ لا تَخرُجُ أيضًا عن الأمرينِ السَّابقينِ: نِسبةِ الجَهلِ أو نسبةِ العَبَثِ إليه تعالى، وكلاهما كفرٌ ومحالٌ في حَقِّه جَلَّ وعلا، ولا نستطيعُ أن نتصَوَّرَ كيف تؤمِنُ هذه الطَّائفةُ بالقُرآنِ وهم يردُّون نُصوصَه الصَّريحةَ التي يتلونَها بألسِنَتِهم في مَدْحِ الصَّحابةِ؟! كيف يؤمِنُ بنُصوصِ القُرآنِ من يُكَذِّبُ بوَعْدِه تعالى لهم بالحُسْنى، وبإعدادِه لهم المنازِلَ الرفيعةَ في الجَنَّةِ، وبرِضاه عنهم ورِضاهم عنه؟[1].

ويمكِنُ أن يُلحَقَ بهذا النَّوعِ من السَّبِّ –وإن كان أشنَعَ ممَّا سبق– سَبُّ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عنهم من أجْلِ صُحبتِهم ونُصرتِهم لدينِ اللهِ تعالى، ولو كان واحِدًا.

قال ابنُ حزمٍ: من أَبغَضَ الأنصارَ لأجْلِ نُصرتِهم للنبيِّ ﷺ فهو كافِرٌ؛ لأنَّه وَجَد الحَرَجَ في نَفْسِه ممَّا قضى اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ من إظهارِ الإيمانِ بأيديهم، ومن عادى عليًّا لمثلِ ذلك فهو أيضًا كافِرٌ[2].

وقال السُّبكي: إنْ سَبَّ الجميعَ لا شَكَّ أنَّه كُفرٌ، وهكذا إذا سَبَّ واحِدًا من الصَّحابةِ حيث هو صحابيٌّ؛ لأنَّ ذلك استِخفافٌ بحَقِّ الصُّحبةِ، ففيه تعَرُّضٌ إلى النَّبيِّ ﷺ، فلا شَكَّ في كُفرِ السَّابِّ،... ولا شَكَّ أنَّه لو أبغَضَ واحدًا منهما أي الشيخينِ أبا بكرٍ وعُمَرَ لأجْلِ صُحبتِه فهو كُفرٌ، بل مَن دُونَهما في الصُّحبةِ، إذا أبغَضَه لصُحبتِه كان كافِرًا قَطْعًا[3].

---

(1) يُنظر: ((إتحاف ذوي النجابة)) (ص: 135).

(2) يُنظر: ((الفصل)) (3/ 143).

(3) يُنظر: ((فتاوى السبكي)) (2/575).

وقال ابنُ حَجرٍ عند شَرْحِه لحديثِ أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه مرفوعًا: ((آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ، وآيةُ النِّفاقِ بُغضُ الأنصارِ))[1]: من أبغضَهم من جهةِ هذه الصِّفةِ – وهي كَونُهم نصَروا رَسولَ اللهِ ﷺ – أثَّرَ ذلك في تصديقِه، فيَصِحُّ أنَّه مُنافِقٌ، ويُقرِّبُ هذا الحَملَ زيادةُ أبي نُعَيم في المستخرَجِ في حديثِ البراءِ بنِ عازبٍ: ((من أحبَّ الأنصارَ فبحُبي أحَبَّهم، ومن أبغَضَ الأنصارَ فببُغضي أبغَضَهم))[2]،... وقد أخرج مُسلِمٌ من حديثِ أبي سعيدٍ رَفَعَه: ((لا يُبغِضُ الأنصارَ رجلٌ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ))[3][4].

وقال العَينيُّ: المقصودُ من الحديثِ الحَثُّ على حُبِّ الأنصارِ وبيانُ فَضْلِهم لِما كان منهم من إعزازِ الدِّينِ، وبَذْلِ الأموالِ والأنفُسِ، والإيثارِ على أنفُسِهم، والإيواءِ والنَّصرِ، وغيرِ ذلك، قالوا: وهذا جارٍ في أعيانِ الصَّحابةِ، كالخُلَفاءِ وبَقيَّةِ العَشَرةِ، والمهاجِرين، بل في كُلِّ الصَّحابةِ؛ إذ كُلُّ واحدٍ منهم له سابقةٌ وسالِفةٌ وغَناءٌ في الدِّينِ وأثَرٌ حَسَنٌ فيه؛ فحُبُّهم لذلك المعنى محضُ الإيمانِ، وبغضُهم محضُ النِّفاقِ[5].

وقال الصاوي: وأمَّا من كفَّر جميعَ الصَّحابةِ فإنَّه يَكفُرُ باتِّفاقٍ، كما في الشَّامِلِ؛ لأنَّه أنكر معلومًا من الدِّينِ بالضَّرورةِ، وكَذَّب اللهَ – تعالى – ورَسولَه ﷺ[6].

---

(1) أخرجه البخاري (17) واللَّفظُ له، ومسلم (74).

(2) أخرجه البخاري (3783) ومسلم (75) بنحوه ولفظه: ((الأنصارُ لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغِضُهم إلا منافقٌ، فمن أحَبَّهم أحَبَّه الله، ومن أبغَضَهم أبغَضَه الله)).

(3) أخرجه مسلم (77).

(4) يُنظر: ((فتح الباري)) (1/63).

(5) يُنظر: ((عمدة القاري)) (1/ 152).

(6) يُنظر: ((الشرح الصغير مع حاشية الصاوي)) (4/ 444).

3 – أن يَسُبَّ صحابيًّا تواترت النُّصوصُ بفَضْلِه، فيطعَنُ في دينِه وعدالتِه؛ وذلك لِما فيه من تكذيبٍ لهذه النُّصوصِ المتواترةِ، والإنكارِ والمخالفةِ لحُكمٍ معلومٍ من الدِّينِ بالضَّرورةِ.

قال مالكٌ: من شتم أحدًا من أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ أبا بكرٍ أو عُمَرَ، أو عثمانَ أو معاويةَ، أو عَمْرَو بن العاصِ، فإنْ قال: كانوا على ضلالٍ وكُفرٍ، قُتِلَ[1].

وسُئِلَ أحمدُ عمَّن يشتُمُ أبا بكرٍ وعُمَرَ وعائشةَ، فقال: (ما أراه على الإسلامِ)، وسُئِلَ عمن يشتُمُ عثمانَ، فقال: (هذه زَندَقةٌ)[2].

وقال مُحمَّدُ بنُ يُوسُفَ الفِرْيابيُّ وسُئِلَ عمَّن شتم أبا بكرٍ، فقال: (كافِرٌ)، قيل: فيُصَلَّى عليه؟ قال: (لا)، وسُئِلَ: كيف يُصنَعُ به وهو يقولُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ؟ قال: (لا تمسُّوه بأيديكم، ادفَعوه بالخَشَبِ حتى توارُوه في حُفْرتِه)[3].

وقال السُّبكي: احتجَّ المُكَفِّرون للشِّيعةِ والخوارجِ بتكفيرِهم لأعلامِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عنهم، وتكذيبِ النَّبيِّ ﷺ في قَطْعِه لهم بالجَنَّةِ، وهذا عندي احتجاجٌ صحيحٌ فيمن ثبت عليه تكفيرُ أولئك، وأجاب الآمديُّ بأنَّه إنَّما يلزَمُ أن لو كان المُكَفِّرُ يَعلَمُ بتزكيةِ من كَفَّره قطعًا على الإطلاقِ إلى مماتِه بقَولِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أبو بكرٍ في الجَنَّة، وعُمَرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعليٌّ في الجَنَّةِ))[4] إلى آخِرِهم، وإن كان هذا الخبَرُ ليس متواترًا لكنَّه مشهورٌ مُستفيضٌ، وعَضَّده إجماعُ الأُمَّةِ على إمامتِهم وعُلُوِّ قَدْرِهم وتواتُرِ مناقِبِهم أعظَمَ التواتُرِ الذي يفيدُ تزكيتَهم، فبذلك نقطَعُ بتزكيتِهم على الإطلاقِ إلى مماتِهم، لا يختَلِجُنا شَكٌّ في ذلك[5].

---

(1) يُنظر: ((الشفا)) لعياض (2/ 308).

(2) يُنظر: ((السنة)) للخلال (3/ 493).

(3) يُنظر: ((السنة)) للخلال (3/ 499).

(4) أخرجه من طرق: أبو داود (4649)، والترمذي بعد حديث (3757)، وابن ماجه (133) من حَديثِ سعيد بن زيد رضي الله عنه. صَحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (6993)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (4649)، وشعيب الأرناؤوط في تخريج ((سنن أبي داود)) (4649)، وحَسَّنه الترمذي، والوادعي في ((الصحيح المسند من دلائل النبوة)) (203). وأخرجه من طريق آخر الترمذي (3748)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8195) من حَديثِ سعيد بن زيد رضي الله عنه. قال البخاري كما في ((سنن الترمذي)) (5/648): هو أصحُّ. وقال الترمذي: هذا أصَحُّ. وصَحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3748)، وقال ابن حجر في ((الإمتاع)) (1/104): له شواهد. وأخرجه من حَديثِ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: الترمذي (3747)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8194)، وأحمد (1675). صَحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (7002)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3747)، وصَحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (3/136)، وقوَّاه على شرط مسلم شعيبٌ الأرناؤوط في تخريج ((مسند أحمد)) (1675).

(5) يُنظر: ((فتاوى السبكي)) (2/569).

وقال أيضًا: أمَّا الرَّافضيُّ فإنَّه يُبغِضُ أبا بكرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما لِما استقَرَّ في ذِهْنِه بجَهْلِه، وما نشأ عليه من الفسادِ عن اعتقادِ ظُلمِهما لعَلِيٍّ، وليس كذلك، ولا عليٌّ يعتقِدُ ذلك، فاعتقادُ الرَّافضي ذلك يعودُ على الدِّينِ بنَقضٍ؛ لأنَّ أبا بكرٍ وعُمَرَ هما أصلٌ بعد النَّبيِّ ﷺ، فهذا مأخذُ التكفيرِ ببُغضِ الرَّافضةِ لهما، وسَبِّهم لهما[1].

وقال أيضًا: تحريمُ سَبِّ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عنه معلومٌ من الدِّينِ بالضَّرورةِ بالنَّقلِ المتواتِرِ على حُسْنِ إسلامِه، وأفعالِه الدَّالَّةِ على إيمانِه، وأنَّه دام على ذلك إلى أنْ قَبَضَه اللهُ تعالى، هذا لا شَكَّ فيه[2].

وقال الخرشي: إنَّ من رمى عائشةَ بما برَّأها اللهُ منه، بأن قال: زنت، أو أنكر صُحبةَ أبي بكرٍ، أو إسلامَ العَشَرةِ، أو إسلامَ جميعِ الصَّحابةِ، أو كفَّر الأربعةَ، أو واحدًا منهم- كَفَر[3].

وجاء في (الفتاوى البَزَّازِيَّة): من أنكر خِلافةَ أبي بكرٍ فهو كافِرٌ في الصَّحيحِ، ومُنكِرُ خلافةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنه فهو كافِرٌ في الأصَحِّ، ويجِبُ إكفارُ الخوارِجِ بإكفارِ عُثمانَ وعليٍّ وطلحةَ والزُّبَيرِ وعائشةَ رَضِيَ اللهُ عنهم. وفي الخلاصةِ: الرَّافضيُّ إذا كان يسُبُّ الشَّيخَينِ ويلعَنُهما، فهو كافِرٌ[4].

وأمَّا إنكار الخلافة بالتقديم والتأخير فتقول مثلا أنَّ عليًّا أولى من عمر بالخلافة فلا أراه كفرا مع أنَّه فاسق في قوله لخروجه على الجماعة، ولكن السب أو التكفير للصحابة عامَّة وخاصة فهو كفر بواح.

---

(1) يُنظر: ((فتاوى السبكي)) (576/2).

(2) يُنظر: ((فتاوى السبكي)) (587/2).

(3) يُنظر: ((شرح مختصر خليل)) (8/ 74)، وعَلَّل العدوي ذلك في ((حاشيته)) على الخرشي (74/8): (لأن إسلام الصحابة وإيمانهم صار معلومًا من دين الله بالضرورة).

(4) يُنظر: ((الفتاوى البزازية)) (318/6).

ثم قال النبي ﷺ: فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ، أي لو أنَّ أحدا أنفق مثل جبل أحد ذهبا في سبيل الله تعالى، لم يبلغ بذلك مدَّ أحد من الصحابة أو نصيفه، والمد ربع الصاع، والصاع ما يقارب اثنان كيلغ وربع.

والغريب في الأمر؛ أنَّ هذا النهي والوعيد جاء ابتداء من عصره ﷺ وكان الكلام موجها لبقية الصحابة الذين هم دون درجة السابقين الأوَّلين، فقصة الحديث أنَّه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما شيء من سوء التفاهم، فكأن خالداً تكلم على عبد الرحمن بن عوف، فخاطب النبي ﷺ خالداً ومن كان مثله من الذين تأخرت صحبتهم، فقال: (لا تسبوا أصحابي) يعني: لا تسبوا أصحابي الذين تقدمت صحبتهم، فهو خطاب للصحابة الذين تأخرت صحبتهم؛ لأن عبد الرحمن بن عوف من السابقين الأولين الذين أسلموا قبل الفتح وهاجروا.

والسابقون الأولون: الصواب فيهم: أنهم هم الذين أسلموا قبل الفتح قبل صلح الحديبية، فصلح الحديبية هو الحد الفاصل بين من أسلم قبل الفتح فهو من السابقين الأولين، وبين من أسلم بعد الفتح فليس منهم، فعبد الرحمن بن عوف ممن أسلم قبل الفتح وهاجر وأنفق، وخالد بن الوليد تأخر إسلامه فلم يسلم إلا بعد صلح الحديبية، وهناك أيضاً جمع ممن تأخر إسلامه ولم يسلم إلا بعد الفتح كأبي سفيان وابنيه: معاوية ويزيد، فإنهم أسلموا يوم الفتح، بعد إسلام خالد، فخالد لم يسلم إلا بعد صلح الحديبية وقبل يوم الفتح، وأبو سفيان ومعاوية أسلموا يوم الفتح.

فالصحابة طبقات، فالسابقون هم الذين أسلموا قبل الفتح قبل صلح الحديبية، وقيل: هم الذين صلوا إلى القبلتين، لكن هذا مرجوح، والصواب أنهم هم الذين أسلموا قبل الفتح، كما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم وبين ذلك فقال: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا}[الحديد:10].

ثم قال: {وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى}[الحديد:10] يعني: السابقون واللاحقون كلهم موعودون بالجنة.

ومرادنا من هذا العرض أنه إن كان الكلام موجها لخالد بن الوليد وطبقته وهم خير الناس بعد الأنبياء الرسل وبعد السابقين الأوَّلين، فمن دون هؤلاء من القرون الذهبية أولى بالخطاب، ومن بعد القرون الذهبية أولى من الجميع، فما بال أقوام يسبون خيرة الصحابة وأسيادهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي الحديث عظيم فظل الصحابة.

وفيه: أنَّ الصحابة درجات.

وفيه: أنَّهم جملة وتفصيلا خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء.



﴿الحديث الخامس عشر﴾

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: احفَظوني في أصحابي فمن حفِظَني في أصحابي رافَقني وورد عليَّ الحَوضَ ومن لم يحفَظني فيهم لم يرِد حَوضي ولم يرَني إلَّا من بعيدٍ[1].

********** **الشرح** **********

وفي هذا الحديث يأمر رسول الله ﷺ الأمَّة أن تحفظه في أصحابه، أي: أن تصونهم وتذبَّ عنهم، وتحمي أعراضهم من شتم الشاتمين وسب السابِّين، ثم قال ﷺ: فمن حفِظَني في أصحابي رافَقني وورد عليَّ الحَوضَ، أي: من ذبَّ عنهم وتبعهم فهو مني ومن هو مني هو رفيقي، ومن رافقني شرب من حوضي، ثم قال ﷺ: ومن لم يحفَظني فيهم لم يرِد حَوضي ولم يرَني إلَّا من بعيدٍ، أي: من يلم يذبَّ عنهم ولم ينصرهم ولم يتبع سبيلهم، فإنَّه ليس مني، ومن ليس مني لا يرافقني، ومن لا يرافقني لا يرد حوضي، ولا يراني إلا من بعيد كما يراني الغريب.

---

(1) حسن: أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (463/23).



﴿الحديث السادس عشر﴾

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: احفَظوني في أصحابي فمن حفِظَني فيهم كنتُ لَهُ يومَ القيامةِ وليًّا وحافظًا[1].

********** الشرح **********

وفي هذه الرواية يخبر رسول الله ﷺ أنَّ من حفظه في أصحابه كان له يوم القيامة وليا وحافظا، وليًّا، أي: يتولاه بالشفاعة، وحافظا، أي: حافظا له من عذاب يوم القيامة بإذن الله تعالى.

---

(1) حسن لغيره: يروى مرسلا ولم يوصله إلا جعفر بن أحمد، أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (2/158) ويقوية بحديث الباب، ومتنه صحيح. وقد روى هذا الحديث أبو معاوية مرسلا، وقد وصله جعفر هذا، وجعفر بن بيان هذا كان متهما بالوضع، ورواه الشيرازي في الألقاب عن أبي سعيد مرفوعا كما في الجامع الكبير 1/25/2، ولذلك جزم ابن عدي بوروده مرسلا منع من الحكم عليه بالوضع. وعلى هذا فالحديث له طريقان مرسل وموصول بنفس المتن، والمتن صحيح تشهد له أحاديث الباب بالمعنى، فهو حسن لغيره.



﴿الحديث السابع عشر﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: دَعوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي[1].

**********الشرح **********

قد سبق الكلام على حكم من سب أصحاب رسول الله ﷺ في شرح الحديث الرابع عشر.

وأمَّا قوله: دعوا أصحابي، أي: دعوهم وشأنهم، فإن كنتم مسلمين فوقِّروهم وعظموهم واتبعوهم، وإن كنتم غير ذلك فأقلَّه لا تسبوهم.

---

(1) أخرجه البخاري في ((التاريخ الكبير)) (81/7)، وابن خياط في ((مسنده)) (66) مختصراً، والبزار (7221).



﴿الحديث الثامن عشر﴾

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ[1].

************ الشرح ************

وفي هذا الحديث يخبر الرسول ﷺ أن من سبَّ أصحابه لعنه الله تعالى والملائكة عليهم السلام والناس أجمعين.

ولعنة الله تعالى هي: عذابُه، والطّرد من رحمته وخيره.

وقال الطبري في شرح آية: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}[البقرة: 161].

أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته، والملائكة، يعني ولَعنهم الملائكةُ والناس أجمعون. ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: عليهم لعنة الله[2].

وعلى هذا فلعنة الله تعالى على من سب أصحاب رسول الله ﷺ هي طردهم من رحمته وعذابه لهم.

ولعنة الملائكة والناس: هي دعاؤهم عليهم باللعنة.

---

(1) حسن: أخرجه الطبراني (142/12) (12709)، والنوافح العطرة لمحمد جار الله الصعدي383.
صحيح لغيره يشهد له حديث عطاء بن أبي رباحَ "من سَبَّ أصحابى فعليه لعنةُ اللهِ" السنة لابن أبي عاصم 1001 وحسنه الألباني وقال: حسن وإسناده مرسل صحيح.
وحسنه بكثرة طرقه.

(2) تفسير الطبري.

وأمَّا لعنة الناس أجمعين فيقول القائل إنَّ أكثر الناس لا يؤمنون، فدعوتهم مردودة.

يكون الجواب عليهم على قسمين:

الأوَّل: أنْ تكون لعنة الناس أجمعين على من سب أصحاب محمد ﷺ سواء كان اللاعنون مسلمون أو كفارا ويكون ذلك يوم القيامة، لقوله تعالى: { قَالَ ٱدْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا}[الأعراف: 38].

فهؤلاء يلعنون بعظهم وهم كفار يوم القيامة، ويلعنهم المسلمون أيضا.

الثاني: أن تكون اللعنة في الدنيا ويكون المقصود بالنَّاس أجمعين هم المسلمون فقط، ولا يعتبر الكفار من البشر، لقوله تعالى: {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}[الفرقان: 44]. فلقد عدَّهم الله تعالى من الأنعام وصفاً.

وعلى هذا: فتكون لعنة الملائكة والمسلمين على من سبَّ أصحاب الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة.

وتكون لعنة الناس أجمعين كفارهم ومسلم على من سب أصحاب الرسول ﷺ يوم القيامة.



﴿الحديث التاسع عشر﴾

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: آيَةُ الإيمانِ حُبُّ الأنْصارِ، وآيَةُ النِّفاقِ بُغْضُ الأنْصارِ[1].

************ الشرح ************

للأنصارِ مَناقبُ عَظيمةٌ وشرَفٌ كبيرٌ، وقدْ أشارَ النبيُّ ﷺ إلى فَضلِ الأنصارِ في أكثرَ مِن حَديثٍ.

وفي هذا الحَديثِ بَيانٌ لبعضِ فَضائلِهم؛ فقدْ حثَّ فيه النبيُّ ﷺ على حُبِّ الأنصارِ، والمرادُ بهم: أهلُ المدينةِ وسُكَّانُها قبْلَ أنْ يُهاجِرَ إليها النبيُّ ﷺ، فأخْبَرَ ﷺ أنَّ عَلامةَ كَمالِ إيمانِ الإنسانِ حبُّ الأنصارِ؛ لِمَا كان مِن حُسنِ وَفائِهم بما عاهَدوا اللهَ سُبحانه وتعالَى عليه؛ مِن إيواءِ نبيِّه ﷺ، ونَصرِه على أعدائِه زمَنَ الضَّعفِ والعُسرةِ، وحُسنِ جِوارِه، ورُسوخِ صَداقتِهم، وخُلوصِ مَودَّتِهم؛ فالأنصارُ نصَروا اللهَ ورَسولَه ﷺ؛ فمَحبَّتُهم مِن تَمامِ حُبِّ اللهِ ورَسولِه ﷺ، فمَحبَّةُ المسلمِ للأنصارِ مِن دَلائلِ صِحَّةِ إيمانِه، وصِدْقِه في إسلامِه، ومَن أبْغضَهم استُدِلَّ ببُغضِه لهم على نِفاقِه وفَسادِ سَريرتِه.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3784.

وهل يشمل هذا الخبر جملة الصحابة أم الأنصار خاصة؟

الصحيح: أنَّه يشمل كل الصحابة لما سبق بيانه من مناقبهم وفضلهم، وأنَّ حكم المهاجرين والأنصار واحد.

قال العَينيُّ: المقصودُ من الحديثِ الحَثُّ على حُبِّ الأنصارِ وبيانُ فَضْلِهم لِما كان منهم من إعزازِ الدِّينِ، وبَذْلِ الأموالِ والأنفُسِ، والإيثارِ على أنفُسِهم، والإيواءِ والنَّصرِ، وغيرِ ذلك، قالوا: وهذا جارٍ في أعيانِ الصَّحابةِ، كالخُلَفاءِ وبَقيَّةِ العَشَرةِ، والمهاجِرين، بل في كُلِّ الصَّحابةِ؛ إذ كُلُّ واحدٍ منهم له سابقةٌ وسالِفةٌ وغَناءٌ في الدِّينِ وأثَرٌ حَسَنٌ فيه؛ فحُبُّهم لذلك المعنى محضُ الإيمانِ، وبغضُهم محضُ النِّفاقِ[1].

وفي الحديثِ: دَلالةٌ على التَّرغيبِ في حُبِّ الصحابة خاصَّة وفي أولياءِ الرَّحمنِ عامَّة، والاعترافِ بفضلِهم، والتَّحذيرِ مِن بُغضِهم ومُعاداتِهم؛ فمَحبَّةُ صحابة رسول الله ﷺ مِن الإيمانِ وبغضهم من الكفر أو النفاق.

---

(1) يُنظر: ((عمدة القاري)) (1/ 152).



﴿الحديث العشرون﴾

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[1].

*********** الشرح **********

قصة الحديث: يحكي أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيقول: بَعَثَنِي رَسولُ اللَّهِ ﷺ أنَا والزُّبَيْرَ والمِقْدَادَ، فَقالَ: انْطَلِقُوا حتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ؛ فإنَّ بهَا ظَعِينَةً معهَا كِتَابٌ، فَخُذُوا منها.

قالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بنَا خَيْلُنَا حتَّى أتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا: أخْرِجِي الكِتَابَ، قالَتْ: ما مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قالَ: فأخْرَجَتْهُ مِن عِقَاصِهَا، فأتَيْنَا به رَسولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِن حَاطِبِ بنِ أبِي بَلْتَعَةَ، إلى نَاسٍ بمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ ببَعْضِ أمْرِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَقالَ رَسولُ الله ﷺ: يا حَاطِبُ، ما هذا؟! قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ؛ إنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا في قُرَيْشٍ – يقولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، ولَمْ أكُنْ مِن أنْفُسِهَا – وكانَ مَن معكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَن لهمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أهْلِيهِمْ وأَمْوَالَهُمْ، فأحْبَبْتُ – إذْ فَاتَنِي ذلكَ مِنَ النَّسَب فيهم –

---

(1) أخرجه البخاري (**4274**)، ومسلم (**2494**).

أنْ أتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، ولَمْ أفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عن دِينِي، ولَا رِضًا بالكُفْرِ بَعْدَ الإسْلَامِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أمَا إنَّه قدْ صَدَقَكُمْ، فَقالَ عُمَرُ: يا رَسولَ اللَّهِ، دَعْنِي أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: إنَّه قدْ شَهِدَ بَدْرًا، وما يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ علَى مَن شَهِدَ بَدْرًا، فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ؛ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ.

فأنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ} إلى قَوْلِهِ: {فقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} [الممتحنة: 1]. انتهى الحديث

فالخَطأُ والتَّقصيرُ صِفةٌ مُلازِمةٌ لجَميعِ البشَرِ، إلَّا مَن عصَمَهمُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن أنْبيائِه ورُسُلِه، والْتِماسُ الأعْذارِ للصَّالِحينَ وأصْحابِ سابِقاتِ الخَيرِ مِن شِيَمِ الكِرامِ.

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي عَليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ أمَرَه هو، والزُّبَيرَ بنَ العَوَّامِ والمِقْدادَ بنَ الأسوَدِ رَضيَ اللهُ عنهم؛ أنْ يَنطَلِقوا حتَّى يَأْتوا «رَوْضةَ خاخٍ»، وهي مَوضِعٌ بيْن مكَّةَ والمَدينةِ، يَبعُدُ عنِ المَدينةِ اثنَيْ عشَرَ ميلًا؛ فإنَّ بهذا المَكانِ ظَعينةً، أي: امْرأةً مُسافِرةً في هَودَجٍ –قيلَ: اسْمُها سارةُ، وكانت مَوْلاةَ عَمرِو بنِ هِشامِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، وقيلَ: اسمُها كَنودُ، وتُكنَّى بأمِّ سارةَ– معَها رسالةٌ مكتوبةٌ، فلْيَأخُذوا منها هذه الرِّسالةَ.

فانطَلَقوا تَجْري بهم خَيلُهم حتَّى أتَوُا الرَّوْضةَ الَّتي ذكَرَها لهم رَسولُ اللهِ ﷺ، فوَجَدوا المرأةَ، وأمَروها أنْ تُخرِجَ الكِتابَ الَّذي معَها، فأنكَرَتْ أنَّ معَها كِتابًا، فأخْبَروها إمَّا أنْ تُخرِجَ الكِتابَ، أو يَخْلَعوا بأنفُسِهم عنها ثِيابَها حتَّى يَجِدوا الكتابَ، وهذا تَهديدٌ شَديدٌ لها، فأخرَجَتْه مِن عِقاصِها، وهو الشَّعرُ المَضْفورُ، أو الخَيْطُ الَّذي يُشَدُّ به أطْرافُ ذَوائبِ الشَّعرِ.

وأحْضَروا الكتابَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فقُرِئَ، فإذا مكتوبٌ فيه: مِن حاطِبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ، إلى ناسٍ بمكَّةَ منَ المُشرِكينَ، قيلَ: همْ صَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ، وسُهَيلُ بنُ عَمْرٍو، وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهلٍ، ويُخبِرُهم حاطبٌ رَضيَ اللهُ عنه في هذا الكتابِ ببَعضِ أمرِ رَسولِ اللهِ ﷺ؛ مِن كَونِه ﷺ قدْ عزَمَ على غَزوِ مكَّةَ، وتَجهَّزَ لفَتحِها.

فسَألَ رَسولُ اللهِ ﷺ حاطِبًا عن رِسالَتِه تلك وقال: «ما هذا؟»، فطَلَبَ حاطبٌ رَضيَ اللهُ عنه مِن رَسولِ اللهِ ﷺ ألَّا يَعجَلَ عَليه، وبيَّن سَببَ فِعلِه بأنَّه كان امْرأً مُلْصَقًا في قُرَيشٍ –أي: حَليفًا لها– وليس له في القومِ أصلٌ ولا عَشيرةٌ، وأنَّ المُهاجِرينَ الذين هاجَروا مع النَّبيِّ ﷺ لهمْ في مكَّةَ قَراباتٌ ونَسَبٌ يَحْمُونَ بها أهْليهم وأموالَهم التي بمكَّةَ، فأحَبَّ حاطبٌ لمَّا لم يكُنْ مِثلَهم في النَّسَبِ، أنْ يَتَّخِذَ عندَ أهلِ مكَّةَ يَدًا –أي: مِنَّةً عليهم– يَحْمُونَ بها قَرابَتَه، وأنَّه لم يَفعَلْ ذلك ارْتِدادًا عن دِينِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا رِضًا بالكُفرِ بعْدَ الإسْلامِ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: أمَا أنَّه قدْ صَدَقَكم، فقال عُمَرُ رَضيَ اللهُ عنه: يا رَسولَ اللهِ، دَعْني أضرِبْ عُنُقَ هذا المُنافِقِ، وقدْ قال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه ذلك، برَغمِ إخبارِ النَّبيِّ ﷺ أنَّه قدْ صَدَقَ فيما قال، وهذه الشَّهادةُ نافيةٌ للنِّفاقِ قَطعًا؛ لمَا كان عندَ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عنه مِن القوَّةِ في الدِّينِ، وبُغضِ المُنافِقينَ، وظنَّ أنَّ فِعلَ حاطبٍ رَضيَ اللهُ عنه هذا يُوجِبُ قَتلَه، لكنَّه لم يَجزِمْ بذلك؛ فلذا استَأذَنَ رَسولَ اللهِ ﷺ في قَتلِه، وأطلَقَ عليه النِّفاقَ لكَونِه أبطَنَ خِلافَ ما أظهَرَ، وقدْ عذَرَ النَّبيُّ ﷺ عُمَرَ؛ لأنَّه كان مُتأوِّلًا؛ إذ لا ضرَرَ فيما فعَلَه، ولم يَأذَنْ رَسولُ اللهِ ﷺ في قَتلِ حاطِبٍ رَضيَ اللهُ عنه، وبيَّنَ العِلَّةَ في تَرْكِ قَتلِه؛ فقال ﷺ: «إنَّه قد شَهِدَ بَدرًا، وما يُدْريكَ لعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ على مَن شَهِدَ بَدرًا فقال: اعْمَلوا ما شِئْتم؛ فقدْ غفَرْتُ لكم»، وهذا خِطابُ تَشريفٍ وإكْرامٍ «اعْمَلوا ما شِئْتم»، أي: في

المُستَقبَلِ؛ فقدْ غفَرْتُ لكم، والمُرادُ الغُفْرانُ لهم في الآخِرةِ، وعبَّرَ عمَّا سيَأْتي في الآخِرةِ بالفعلِ الماضي مُبالَغةً في تَحقُّقِه.

وقدْ أظهَرَ اللهُ تعالَى صِدقَ رَسولِه ﷺ في ذلك؛ فإنَّهم لم يَزالوا على أعْمالِ أهلِ الجنَّةِ إلى أنْ فارَقوا الدُّنْيا، ولم يقَعْ منهم ذَنبٌ في المُستقبَلِ يُنافي عَقيدةَ الدِّينِ؛ ولذا قبل النبي ﷺ عُذرَ حاطبِ رَضيَ اللهُ عنه؛ لمَا علِمَ مِن صحَّةِ عَقيدَته، وسَلامةِ قَلبِه، وأنزَلَ اللهُ تعالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}[الممتحنة: 1]، والإلْقاءُ: إيصالُ المَوَدَّةِ إليهم، والمُرادُ بالعَداوةِ: العَداوةُ الدِّينيَّةُ الَّتي جعلَتِ المُشرِكينَ يَحرِصونَ كلَّ الحِرصِ على أذَى المُسلِمينَ، والمَعنى: يا مَن آمَنْتم باللهِ تعالَى إيمانًا حقًّا، احْذَروا أنْ تَتَّخِذوا أعْدائي وأعْداءَكم أوْلياءَ، وأصْدِقاءَ، وحُلَفاءَ؛ بل جاهِدوهم، وأغْلِظوا عليهم، واقْطَعوا الصِّلةَ الَّتي بيْنكم وبيْنهم.

وناداهُمْ بصِفةِ الإيمانِ؛ لتَحْريكِ حَرارةِ العَقيدةِ الدِّينيَّةِ في قُلوبِهم، ولحَضِّهم على الاسْتِجابةِ لمَا نَهاهم عنه، وفي وَصفِهم بالإيمانِ دَليلٌ على أنَّ الإتْيانَ بالكَبيرةِ لا يُنافي أصْلَ الإيمانِ.

ثمَّ ساقَ سُبحانَه الأسْبابَ الَّتي مِن شَأْنِها حَملُ المؤمِنينَ على عدَمِ مُوالاةِ أعْداءِ اللهِ تعالى وأعْدائِهم؛ فبيَّنَ أنَّهم قد كَفَروا بما جاءَكم على لِسانِ رَسولِكم ﷺ مِن الحقِّ الَّذي يَتمثَّلُ في القُرآنِ الكَريمِ، وفي كلِّ ما أوْحاه سُبحانه إلى رَسولِه ﷺ، ولم يَكتَفوا بكُفرِهم بما جاءَكم أيُّها المؤمِنونَ مِن الحقِّ؛ بل تَجاوَزوا ذلك إلى إخْراجِ رَسولِكم ﷺ،

وإخْراجِكم مِن مكَّةَ؛ مِن أجْلِ إيمانِكم باللهِ ربِّكم، ثمَّ أكَّدَ سُبحانه الأمرَ بتَركِ مَودَّةِ المُشرِكينَ، فخاطَبَهم: إنْ كُنتم أيُّها المؤمِنونَ قدْ خرَجْتم مِن مكَّةَ مِن أجْلِ الجِهادِ في سَبيلي، ومِن أجْلِ طلَبِ مَرْضاتي؛ فاترُكوا اتِّخاذَ عَدوِّي وعَدوِّكم أوْلياءَ، واترُكوا مَودَّتَهم ومُصافاتَهم، وإلَّا فلا حاجة بخروجكم إن كنتم توادونهم.

وقولُه سبحانَه: {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} مَعْناها: تَفْعَلونَ ما تَفْعَلونَ مِن إلْقاءِ المَودَّةِ إلى عَدوِّي وعَدوِّكم، ومِن إسْرارِكم بها إليهم، والحالُ أنِّي أعلَمُ منهمْ ومنكم بما أخْفَيْتُموه في قُلوبِكم، وما أعْلَنْتُموه، ومُخبِرٌ رَسولَكم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بذلك. ثمَّ ختَمَ سُبحانَه الآيةَ بقَولِه: {وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ}، أي: ومَن يَفعَلْ ذلك الاتِّخاذَ لعَدوِّي وعَدوِّكم أوْلياءَ، ويُلقِ إليهم بالمَودَّةِ؛ فقدْ أخْطأَ طَريقَ الحَقِّ والصَّوابِ.

وفي الحَديثِ: البَيانُ عَن بَعضِ أعْلامِ النُّبوَّةِ؛ وذلك إعْلامُ اللهِ تعالَى نَبيَّه ﷺ بخَبَرِ المَرْأةِ الحامِلةِ كِتابَ حاطِبٍ إلى قُرَيشٍ، ومَكانِها الَّذي هي به، وذلك كُلُّه بالوَحيِ.

وفي الحديث: فضل صحابة رسول الله ﷺ، حتَّى أنَّ أحدهم أتى بما يشبه الخيانة فعفى عنه الرسول ﷺ مبينا أنَّهم مغفور لهم.



﴾الحديث الحادي والعشرون﴿

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ اللَّهَ اختارَ أصحابي على العالَمينَ سوى النَّبيِّينَ والمرسلينَ، واختارَ لي من أصحابي أربعةً يعني أبا بَكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًّا – رحِمَهمُ اللَّهُ – فجعلَهم أصحابي، وقالَ: في أصحابي كلُّهم خيرٌ واختارَ أمَّتي على الأممِ واختارَ أمَّتي أربعَ قرونٍ الأوَّلُ والثَّاني والثَّالثُ والرَّابعُ (1).

************ الشرح ************

وهذا الحديث آية في الدلالة على فضل صحابة رسول الله ﷺ، بل وفضل أتباعهم وأتباع أتباعهم، فمن المعلوم أنَّ أقوال وأفعال وتقرير رسول الله ﷺ كله وحي من الله تعالى، وأن كل شأنه بأمر من الله تعالى، فعلى هذا لا يكون أصحاب رسول الله ﷺ إلَّا باختيار من الله تعالى، فقد اختار له أصحابه من بين العصور والأزمان وجمعهم له في عصره كي يكونوا سنده والمبلغين عنه من بعده.

فيقول ﷺ: إن الله اختار لي أصحابي على العالمين، أي: مميَّزين، اختارهم من رحام الطاهرات وأظهر الشرفاء، رجال مخلصون عاملون مؤمنون أنصار ومهاجرون، وقال ﷺ: سوى الأنبياء والرسل، أي: ولم يكن هذا للأنبياء والرسل من قبلي، وهذه شهادة من رسول الله ﷺ أن أصحابه خير خلق الله من بعد الأنبياء والرسل، وقال ﷺ: واختارَ لي من أصحابي أربعةً يعني أبا بَكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليًّا، أي: ميَّزَ هؤلاء الأربعة من جملة أصحابي، وهو كما قال رسول الله ﷺ، فهم خيرة أصحابه، وقالَ: في أصحابي كلُّهم خيرٌ، وهذه شهادة منه ﷺ أنَّ كل أصحابهم هم خير الناس، لكي لا يظن السامع انَّ تخصيص الأربعة بالذكر، يمحو فضل البقيَّة، ولذلك ذيَّل رسول الله قائلا: في أصحابي كلُّهم خيرٌ، ثمَّ قال: واختارَ أمَّتي على الأممِ، وهو من قوله تعالى:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[آل عمران: 110]، فهذه الأمَّة اختارها الله تعالى كي تكون أمَّة حبيبه ﷺ، ثم قال ﷺ: واختارَ أمَّتي أربعَ قرونٍ الأوَّلُ والثَّاني والثَّالثُ والرَّابعُ، وهنا يلحق رسول الله ﷺ التابعين وأتباعهم بالفضل، فعلى هذا فإنَّه يقصد بالقرن الأول قرنه ﷺ، والقرن الثاني أصحابه، والقرن الثالث التابعين، والقرن الرابع أتباع التابعين، وهذا الذي عليه الجمهور وهو أنَّ تبع أتباع التابعين ليسوا من القرون الذهبية، ولكن إن عددنا القرن الأوَّل هو قرنه هو وأصحابه، والقرن الثاني للتابعين، والقرن الثالث لأتباعهم، فإن القرن الرابع يدخل فيه تبع أتباع التابعين، ونرجو من الله ذلك، ولكنَّ معظم أهل العلم أنهم ليسوا منهم، ولكننا ندعوا الله تعالى أن يكونوا منهم.

وفي الحديث: أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ أُختيروا لهُ بأمر من الله تعالى.

وفيه: أنَّ هذه المزية لم تكن لأحد من قبله من الأنبياء والرسل.

وفيه: أنَّ الله تعالى اختار له أمَّته وأنَّ من أمته أربعة قرون ليس لها مثيل.

وفيه: فضل الصحابة والتابعين وأتباعهم.

---

(1) حسن ألأخرجه البزار في الأحكام الشرعية الكبرى 468/4، وقال: لا نعلمه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وأخرجه القرطبي في تفسيره وصححه 348/19، وعبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى 905، أشار في المقدمة أنه صحيح الإسناد، والهيثمي في مجمع الزوائد 18/10 وقال: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.



﴿الحديث الثاني والعشرون﴾

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا يَدخُلُ النَّارَ أحَدٌ ممَّنْ بايَعَ تحتَ الشجَرةِ[1].

************ الشرح ***********

أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ وهو في بيتِ حَفْصَةَ أنَّه لا يَدْخلُ النَّارَ- إنْ شاءَ اللهُ- مِن أصحابِ الشَّجرةِ أحدٌ، وأصحابُ الشَّجرةِ هُمْ أهلُ بيعةِ الرِّضوانِ، وهم الَّذِينَ بَايَعوا تَحْتَ هذه الشَّجرةِ، أي: على الجهادِ والإسلامِ، وتسمى بيعة الموت وبيعة الرضوان، فَردَّتْ حَفْصَةُ: بلى يا رسولَ الله؛ "فَانْتَهَرَهَا"، أي: زَجَرَهَا؛ فقالتْ حَفْصَةُ: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا}[مريم: 71]، أي: وما منكم إلَّا مارٌّ بها أو حاضِرُها، وكانَتْ حَفْصَةُ ظَنَّتْ أنَّ مَعْنَى "وَارِدُهَا": دَاخِلُها؛ فقالَ ﷺ: قَدْ قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرَ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا}[مريم: 72]، أي: إذا مَرَّ الخلائقُ كلُّهم على النَّارِ، وَسقطَ فيها مَنْ سَقطَ مِنَ الكفَّارِ وَالعُصاةِ ذَوي الْمَعاصي، بِحَسَبِهم، نَجَّى اللهُ تعالى المؤمنينَ المتَّقِينَ منها بِحَسَبِ أَعمالِهم؛ فَجَوازُهم على الصِّراطِ وسُرعَتُهم بِقَدْرِ أعمالِهِمُ الَّتي كانتْ في الدُّنيا.

وفي الحديثِ: دَليلٌ على جواز المُناظرَةِ فى العِلْمِ.

وفيه: أنَّ مِن هدْيِ الصَّالحينَ الاعتراضَ بأدب والسُّؤالَ لاستخراجِ الفائدةِ.

وفيه: فَضلُ أصحابِ الشجرةِ أهلِ بَيعةِ الرِّضوانِ رضِي اللهُ عنهم.

---

(1) أخرجه أبو داود (4653)، والترمذي (3860)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (11508)، وأحمد (14778) واللفظ له، وصححه الأرناؤوط في تخريج المسند وقال: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه ابن حجر في الرحمة الغيثية 117، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.



﴿الحديث الثالث والعشرون﴾

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه: أنَّ عَبْدًا لِحَاطِبٍ جَاءَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَشْكُو حَاطِبًا فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، لَيَدْخُلَنَّ حَاطِبٌ النَّارَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: كَذَبْتَ لا يَدْخُلُهَا، فإنَّه شَهِدَ بَدْرًا وَالْحُدَيْبِيَةَ[1].

*********** الشرح **********

في هذا الحديثِ أنَّه جاءَ عبدٌ، أي: مملوك لِحاطبِ بنِ أَبي بَلْتَعَةَ رضِي اللهُ عنه إلى النَّبِيِّ ﷺ يَشكو حاطبًا إليه، فَقال: يا رسولَ اللهِ، لَيَدْخُلَنَّ حاطبٌ النَّارَ، أي: لِكثرَةِ ما ظَلَمَني؛ فقال ﷺ: كذبْتَ، أي: حيثُ جزَمْتَ وأكَّدْتَ؛ لا يدخلُها؛ فإنَّه قَدْ شهِدَ بدرًا والْحُدَيْبِيَةَ، أي: ومَنْ حَضرَهما لا يدخُلُ النَّارَ.

وفي الحديثِ: فضيلةُ أهلِ بدرٍ وَالْحُدَيْبِيَةِ.

وفيه: فضلُ حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ رضِي اللهُ عنه.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 2495، والترمذي 3864 وصححه الألباني في صحيح الترمذي، زابن حبان 7120، وصححه الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان.



﴿الحديث الرابع والعشرون﴾

عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ عَوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: أبُو بَكرٍ في الجَنَّةِ، وعُمرُ في الجَنَّةِ، وعُثمانُ في الجَنَّةِ، وعَليٌّ في الجَنَّةِ، وطَلحةُ في الجَنَّةِ، والزُّبَيرُ في الجَنَّةِ، وعَبدُ الرَّحمَنِ بنُ عَوفٍ في الجَنَّةِ، وسَعدٌ في الجَنةِ، وسَعيدٌ في الجَنَّةِ، وأبُو عُبيدةَ بنِ الجَرَّاحِ في الجَنَّةِ[1].

********** الشرح **********

لقدْ بَشَّرَ النَّبيُّ ﷺ كثيرًا مِن الصَّحابةِ بالجنَّةِ؛ ولم يَجعَلْهم ذلك يَتَقلَّلون مِن العِبادةِ، أو يتَّكِلون على ذلك، ومِن هؤلاء مَن عُرِفوا بالعَشَرةِ المبشَّرين بالجنَّةِ، وفي هذا الحديثِ يَذكرُهم النَّبيُّ ﷺ، فيقولُ: "عَشَرةٌ في الجنَّةِ"، أي: ممَّن يَدخُلون الجنَّةَ هؤلاء العشَرةُ، وهذا ليس حَصْرًا، فقد بشَّرَ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم غيرَهم بذلك أيضًا: فأوَّلهم ذكرا أبو بكر: وهو أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ عبدُ اللهِ بنُ عُثمانَ التَّيْميُّ القُرشيُّ، وهو أوَّلُ الخلفاءِ الرَّاشِدين، وهو وزيرُ النَّبيِّ ﷺ وصاحبُه، ورفيقُه عندَ هجرتِه إلى المدينةِ المنوَّرةِ، وهو أكثرُ الصَّحابةِ إيمانًا وزُهدًا، ومِن أحَبِّ النَّاسِ إلى النَّبيِّ ﷺ، ولَقَّبه النَّبيُّ ﷺ بالصِّدِّيقِ؛ لِكَثرةِ تَصْديقِه له.

---

(1) أخرجه الترمذي (3747) واللَّفظُ له، وأحمد (1675)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8194). صحَّحه ابن حبان في ((صحيحه)) (7002)، والألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (3747)، وصحَّح إسنادَه أحمد شاكر في تخريج ((مسند أحمد)) (136/3)، وشعيب الأرناؤوط على شرط مسلم في تخريج ((صحيح ابن حبان)) (7002).

وعمرُ: وهو عُمرُ بنُ الخطَّابِ العدَويُّ القُرشيُّ، المُلقَّبُ بالفاروقِ، وهو ثاني " الخلفاءِ الرَّاشدين ومِن كبارِ أصحابِ الرَّسولِ ﷺ، وهو وزيرُ النَّبيِّ ﷺ بعد أبي بكرٍ، ومِن عُلماءِ الصَّحابةِ وزُهَّادِهم، تولَّى الخِلافةَ الإسلاميَّةَ بعدَ وفاةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ وقد اشتُهِر بعَدْلِه وإنصافِه النَّاسَ مِن المظالِمِ، وفي عَهدِه زادَتِ الفُتوحاتُ وانتَشَر الإسلامُ، وهو أوَّلُ مَن مَصَّر الأمصارَ ونَظَّم الدَّولةَ الإسلاميَّةَ.

وعليٌّ: وهو ابنُ أبي طالبِ بنِ عبدِ المطَّلِبِ الهاشميُّ القُرشيُّ، ابنُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ وصِهْرُه، وهو رابعُ الخلفاءِ الرَّاشِدين، وهو أوَّلُ مَن أسلَم مِن الصِّبيانِ، هاجَر إلى المدينةَ بعدَ هجرةِ النَّبيِّ ﷺ بثلاثةِ أيَّامٍ، وآخاه النَّبيُّ ﷺ مع نفْسِه، وزوَّجه ابنتَه فاطمةَ في السَّنَةِ الثَّانيةِ مِن الهجرةِ، وقد شارَك في كلِّ غزَواتِ الرَّسولِ ﷺ عدا غَزْوةَ تَبوكٍ وكان أحَدَ كُتَّابِ الوحيِ وأحَدَ أهَمِّ سُفَراءِ الرسول ﷺ ووُزرائِه وأعلمهم.

وعثمانُ: وهو عثمانُ بنُ عفَّانَ الأمويُّ القرشيُّ ثالثُ الخلفاءِ الرَّاشدين، ومِن السَّابِقين إلى الإسلامِ، يُكْنى ذا النُّورَين؛ لأنَّه تزَوَّج مِن رُقيَّةَ ثمَّ بعدَ وَفاتِها تزوَّجِ مِن أمِّ كُلثومٍ، بنتي رسول الله ﷺ وكان أوَّلَ مُهاجِرٍ إلى أرضِ الحبَشةِ، ثمَّ هاجَر الهِجرةَ الثَّانيةَ إلى المدينةِ وكان رسولُ اللهِ ﷺ يَثِقُ به ويُحِبُّه ويُكْرِمُه لحيائِه وأخلاقِه وحُسْنِ عِشْرتِه وما كان يَبذُلُه مِن المالِ لِنُصرةِ المسلِمين والَّذين آمَنوا باللهِ تعالى، وفي خِلافتِه جُمِع القرآنُ، وعَمِل توسِعةً للمسجِدِ الحرامِ وكذلك المسجدُ النَّبويُّ، وأنشأ أوَّل أُسطولٍ بَحْريٍّ إسلاميٍّ لحِمايةِ الشَّواطئِ الإسلاميَّةِ.

والزُّبيرُ: وهو الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّامِ القُرشِيُّ الأسديُّ، ابنُ عمَّةِ النَّبيِّ ﷺ، ومِن السَّابِقين إلى الإسلامِ، يُلقَّبُ بِحَواريِّ رسولِ اللهِ ﷺ؛ وهو أوَّلُ مَن سَلَّ سيفَه في الإسلامِ، هاجَر إلى الحبَشةِ في الهجرةِ الأولى ولم يُطِلِ الإقامةَ بها، شارَك في جميعِ الغزواتِ مع النَّبيِّ

ﷺ وبعدَ مقتَلِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ خرَج إلى البصرةِ مُطالِبًا بالقِصاصِ مِن قَتَلةِ عُثمانَ، فقَتَله عَمرُو بنُ جُرْموزٍ في موقعةِ الجمَلِ، فكان قَتلُه في رجَبٍ سنةَ سِتٍّ وثَلاثين مِن الهجرةِ، وله أربعٌ وسِتُّون سَنةً.

وطَلْحةُ: وهو طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ بنِ عُثمانَ بنِ عمرِو بنِ كعبٍ، مِن بَني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبٍ، وهم أهلُ الصَّحابيِّ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، أسلَم على يدَيْ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ، وشَهِد المشاهِدَ مع النَّبيِّ ﷺ، وقُتِل بعدَ موقعةِ الجمَلِ.

وعبدُ الرَّحمنِ: وهو عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفِ بنِ عبدِ عوفِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرةِ، وهو مِن السَّابِقين الأوَّلين إلى الإسلامِ؛ إذْ أسلَم قبلَ دُخولِ النَّبيِّ ﷺ دارَ الأرقَمِ بنِ أبي الأرقَمِ، وهاجر الهِجرتَين وشَهِد بدْرًا وسائرَ المشاهِدِ، وآخى النَّبيُّ ﷺ بينَه وبينَ سعدِ بنِ الرَّبيعِ الخَزْرَجيِّ، وتَصدَّق على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ بشَطْرِ مالِه، ثمَّ تصَدَّق بأربَعين ألْفِ دينارٍ، ثمَّ حَمَل على خَمْسِمائةِ فرَسٍ في سَبيلِ اللهِ وخَمسِمائةِ راحلةٍ، وكان يَصِلُ زَوجاتِ النَّبيِّ ﷺ بالعَطايا والمالِ.

وأبو عُبيدةَ: هو: عامِرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الجَرَّاحِ بنِ هلالِ بنِ أهيَبَ، وهو أحدُ السَّابقين الأوَّلين إلى الإسلامِ، أسلَم على يدِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ في الأيَّامِ الأولى للإسلامِ. هاجَر إلى الحبَشةِ في الهجرةِ الثَّانيةِ، وقد لقَّبَه النَّبيُّ ﷺ بأمينِ الأمَّةِ، وكان مِمَّن ثبَت مع الرَّسولِ ﷺ يومَ أحُدٍ، وشَهِد المَشاهِدَ مع النَّبيِّ ﷺ والخلفاءِ الرَّاشِدين مِن بعدِه، مات بطاعونِ عَمَواسٍ ودُفِن في قريةٍ صغيرةٍ حمَلَتِ اسْمَه بالغُورِ في الأردُنِّ.

وسعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ: هو سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ مالِكِ بنِ وُهَيبِ بنِ عبدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ، فهو مِن بَني زُهْرةَ وهم فَخِذُ آمِنةَ بنتِ وهبٍ أمِّ الرَّسولِ ﷺ، وقد كان الرَّسولُ ﷺ يَعتَزُّ بهذه الخُؤولةِ، وُلِد في مكَّةَ، واشتَغَل في بَرْيِ السِّهامِ وصِناعةِ القِسِيِّ، وكان

إسلامُه مُبكِّرًا، يُعتبَرُ أوَّلَ مَن رمى بسَهمٍ في سبيلِ اللهِ تعالى، وافتَداه الرَّسولُ ﷺ بأبَوَيه يومَ أحُدٍ، ودعا له النَّبيُّ ﷺ: "اللَّهمَّ سَدِّد رَمْيتَه، وأجِبْ دعوتَه"، فكان مُجابَ الدَّعوةِ، وشَهِد المشاهِدَ مع النَّبيِّ ﷺ وجاهد مع الخلفاءِ وهو قائدُ موقعةِ القادسيَّةِ وفاتحُ مَدائنِ كِسْرى.

وسعيد: وهو سَعِيد بن زَيْد القرشي العدوي وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، حيث أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا وقبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم وقبل أن يدعو فيها، وكان أبوه زيد من الأحناف في الجاهلية؛ فلا يعبد إلا الله ولا يسجد للأصنام، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، وأخته عاتكة بنت زيد زوجة عمر، وزوجته هي أخت عمر فاطمة بنت الخطاب والتي كانت سببًا في إسلام عمر بن الخطاب، شهد سعيد المشاهد كلها مع النبي ﷺ إلا غزوة بدر، حيث بعثه النبي ﷺ هو وطلحة بن عبيد الله للتجسس على أخبار قريش، فرجعا بعد غزوة بدر، فضرب لهما النبي ﷺ بسهمهما وأجرهما، وشهد معركة اليرموك، وحصار دمشق وفتحها، وولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح، فكان أول من عمل نيابة دمشق من المسلمين، وتُوُفي بالعقيق سنة إحدى وخمسين للهجرة، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وحُمِل إلى المدينة، وغسله سعد بن أبي وقاص وكفنه.

فجميعُ هؤلاء الصَّحابةِ بُشِّروا بالجنَّةِ وهم يَمْشون على الأرضِ في الدُّنيا فما أعظَمَ ذلك مِن بِشارةٍ.

قال"، أي: أحَدُ رُواةِ الحديثِ: "فعَدَّ هؤلاء التِّسْعةَ وسكَتَ عن العاشرِ"، يَعني " سَعيدَ بنَ زيدٍ الصَّحابيَّ الَّذي رَوى هذا الحَديثَ عن النَّبيِّ ﷺ، فقال القومُ: "نَنشُدُك اللهَ"، أي: نُقسِمُ عليك ونَسأَلُك به "يا أبا الأعوَرِ"، وهي كُنْيةُ سَعيدِ بنِ زيدٍ، "مَن

العاشِرُ؟"، أي: مَن الصَّحابيُّ العاشرُ الَّذي بُشِّر بالجنَّةِ؟ "قال: نَشَدتُّموني باللهِ"، أي: أقسَمتُم علَيَّ وسأَلتُموني باللهِ؛ فلِذا سأُجيبُكم، "أبو الأعورِ في الجنَّةِ"، يَعني نفْسَه، أي: سَعيدُ بنُ زيدٍ في الجنَّةِ.

وفي الحَديثِ: أنَّ تَسْميةَ العَشَرةِ المبشَّرين بالجنَّةِ؛ لأنَّهم ذُكِروا في حَديثٍ واحدٍ، وإنْ كان غيرُهم بُشِّر بالجَنَّةِ أيضًا.

وفي الحديث: فضل الصحابة وخاصة هؤلاء العشرة.

وفي الحديث: بيان أنَّ ليس العشرة وحسب مبشرون بالجنَّة، بل هم من جملة المبشربن بالجنَّة.



﴿الحديث الخامس والعشرون﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أصبحَ اليومَ مِنكمْ صائِمًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: مَنْ عادَ مِنكمْ مَرِيضًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ اليومَ جَنازَةً؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: مَنْ أَطْعَمَ اليومَ مِسْكِينًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: ما اجتمعَ هذه الخِصالُ في رجلٍ في يَوْمٍ، إلَّا دخلَ الجنةَ[1].

********** الشرح **********

مِن مَعالِمِ التَّوجِيهِ والتَّربِيَةِ النَّبويَّةِ: أنَّه يَلفِتُ العُقولَ والأنظارَ إلى مُرادِه بالسُّؤالِ؛ لِيَنتَبِهَ الحاضِرون؛ لأنَّ لكلِّ سُؤالٍ منه صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مَغْزًى وهَدفًا يُعرَفُ بعْدَ تَوضيحِ النَّبيِّ ﷺ وتَجْلِيَتِه لِمُرادِه مِنَ السُّؤالِ.

ويُرشِدُ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ إلى بَعضِ الفضائلِ الَّتي تكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ لِمَنِ اجتَمَعَتْ فيه؛ فيَرْوي أبو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ الرَّسولَ ﷺ سَأَل أصحابَه رضي الله عنهم الَّذين كانوا في مَجلسِه: «مَن أصبَحَ منكم اليومَ صائمًا؟ قال أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: أنا»، وأجاب بـ«أنا» لِلتَّعيينِ في الإخبارِ لا للاعتِدادِ بنَفْسِه كما يُذكَرُ في مَقامِ المُفاخَرَةِ، ثُمَّ أَردَفَ النَّبيُّ ﷺ هذا السُّؤالَ بأسئلةٍ أُخرَى استِكمالًا لتَوضيحِ أسبابِ دُخولِ الجنَّةِ، فقال: «فمَن تَبِعَ منكم اليومَ جِنازَةً؟» بالصَّلاةِ عليها، والسَّيرِ معها حتَّى دَفْنِها، فأجاب أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه: «أنا»، فسَأل النَّبيُّ ﷺ: «فمَن أَطْعَمَ

(1) أخرجه مسلم (1028)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (515) واللفظ له.

منكم اليوْمَ مِسكينًا؟» فأشْبَعَه وأعطاهُ ما يَحتاجُه مِن الطَّعامِ، والمسكينُ هو الشَّخصُ الَّذي لا يَجِدُ ما يَكْفِيه، فأجاب أبو بَكْرٍ رَضِي اللهُ عنه: «أنا»، فسَأل النَّبيُّ ﷺ: «فمَن عادَ مِنكم اليومَ مريضًا؟» فأجاب أبو بَكْرٍ رَضِي اللهُ عنه: «أنا»، فكلُّ الخِصالِ والأفعالِ الَّتي سَأَل النَّبيُّ ﷺ عنها، أجاب أبو بَكْرٍ رَضِي اللهُ عنه أنَّه قدْ فَعَلها، فاجتَمَعَتْ كلُّ هذه الأفعالِ الطيِّبةِ في أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِي اللهُ عنه في يومٍ واحدٍ، وهذا يدُلُّ على ما كان عليه أبو بَكرٍ رَضِي اللهُ عنه مِن الحرصِ على فِعلِ جَميعِ أنواعِ الطَّاعاتِ وتَتبُّعِه أبوابَها واغتنامِ أوقاتِها، وكأنَّه ما كان له همٌّ إلَّا في طلَبِ ذلك والسَّعيِ في تَحصيلِ ثَوابِه.

فأخبَرَ النَّبيُّ ﷺ: أنَّه إذا اجتمَعَت هذه الخِصالُ الأربعةُ وحَصَلت في يوْمٍ واحدٍ مِن إنسانٍ، دَخَل الجنَّةَ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ المرادُ: دخَل الجنَّةَ بلا مُحاسَبةٍ ولا مُجازاةٍ على قَبيحِ الأعمالِ، وإلَّا فمُجرَّدُ الإيمانِ يَكفِي لدُخولِ الجنَّةِ ولو عُذِّبَ العاصي في النَّارِ بمَعصيتِه، فمآلُ أمرِه دُخولُ الجنَّةِ ما دام مُوحِّدًا، أو مَعناهُ: دخَل الجنَّةَ مِن أيِّ بابٍ شاءَ، واللهُ أعلَمُ.

وفي الحديثِ: فَضْلُ الأعمالِ الصَّالحةِ؛ مِنَ الصِّيامِ، والصَّدَقَةِ، وإطعامِ المساكينِ، وزيارةِ المريضِ، وأنَّها خِصالٌ وأفعالٌ تكونُ سَببًا في دُخولِ الجنَّةِ.

وفيه: بَيانُ اتِّصافِ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِي اللهُ عنه بالفَضائِلِ، وهذا مِن مَناقبِهِ رَضِي اللهُ عنه.

وفيه: بيانُ ما كان عليه النَّبيّ ﷺ مِن التَّفقُّدِ لأحوالِ أصحابِه وإرشادِهم إلى فِعلِ الخيرِ على اختلافِ أنواعِه.

وفيه أربع فضائل يجب على المسلم أن يغتنمها ولو مرة في عمره وهي: أن يصوم، وفي نفس اليوم يعود مريضا، وفي نفس اليوم يشهد جنازة، وفي نفس اليوم يطعم مسكينا، فهذه الأربع شهادة وبشارة لفاعلها لوجه الله تعالى بالجنَّة، فمن فعلها موقنا بها مخلصا لله تعالى فهو مبشر بالجنَّة بشهادة الحديث على ذلك.



﴿الحديث السادس والعشرون﴾

عن عمر بن الخطاب رضي الله قال: أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أنْ نتصدقَ، فوافقَ ذلك عندي مالًا فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُهُ يومًا قال: فجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما أبقيتَ لأهلِكَ ؟ قلتُ مثلهُ، وأتى أبو بكرٍ بكُلِّ ما عنده، فقال يا أبا بكرٍ: ما أبقيتَ لأهلِكَ ؟ فقال: أبقيتُ لهمُ اللهَ ورسولَهُ ﷺ، قلتُ: لا أسبِقُهُ إلى شيءٍ أبدًا[1].

********** الشرح **********

كان الصَّحابةُ رِضْوانُ اللهِ علَيْهم يتَنافَسون في الخيراتِ ويتَسابَقون في الطَّاعاتِ.

وفي هذا الحديثِ: يَقولُ عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضِي اللهُ عَنه: "أمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ يومًا أن نتَصدَّقَ"، أي: نُنفِقَ في سَبيلِ اللهِ، "فوافَقَ ذلك مالًا عِنْدي"، أي: صادَف كلامُ النَّبيِّ ﷺ وُجودَ مالٍ عِندي يُمكِنُ أن أتصَدَّقَ به، "فقلتُ: اليومَ أَسبِقُ أبا بكرٍ إن سبَقتُه يومًا"، أي: إن كان هُناك يومٌ يُمكِنُ أن أَسبِقَ فيه أبا بكرٍ رَضِي اللهُ عَنه فهو هذا اليومُ، "فجِئتُ بنِصْفِ مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: ما أبقَيتَ لأهلِك؟ قلتُ: مِثلَه"، أي: أبقيتُ لهم نِصفَ المالِ، "قال: وأتَى أبو بكرٍ رَضِي اللهُ عَنه بكُلِّ ما عِندَه"، أي: مِن مالٍ وغيرِه، "فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: ما أبقَيتَ لأَهلِك؟ قال: أبقيتُ لهم اللهَ

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح **3675**.

ورسولَه"، أي: وَكَلتُهم إلى اللهِ يَحفَظُهم، ورسولِه يَرْعاهم، وقيل: أبقَيتُ لهم أن يَرْضى اللهُ ورسولُه عَنْهم، "قلتُ"، أي: في نَفْسي: "لا أُسابِقُك إلى شيءٍ أبَدًا"، أي: مِن الفضائلِ والخيرِ؛ إذ لم أَقدِرْ أن أُسابِقَك وأنا أملِكُ وأقدِرُ، فكيف لي أن أُسابِقَك فيما أنا فيه أقلُّ مِنك.

وفي الحديثِ: فضلٌ ومنقبةٌ لأبي بكرٍ ولِعُمرَ رَضِي اللهُ عَنهما.

وفيه: أن لا سابق لأبي بكر رضي الله في الخيرات.



﴿الحديث السابع والعشرون﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ. فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقالَ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فَعَجِبْنا له، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ؛ يُخْبِرُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقولُ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فَكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به، وقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْلامِ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ[1].

********** الشرح **********

كان أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه أقرَبَ النَّاسِ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ فهو رَفيقُه في هِجرَتِه، وهو أعظَمُ هذه الأُمَّةِ إيمانًا وتَصْديقًا، بحيث لو وُزِنَ إيمانُه بإيمانِ النَّاسِ كلِّهم، لرجَحَ إيمانُه بإيمانِهم.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ جلَسَ على المِنبَرِ في مرَضِه الأخيرِ الَّذي مات فيه، وذلك في العامِ الحادي عشر مِن الهِجْرةِ بالمَدينةِ المُنوَّرةِ، فقال: «إنَّ عَبدًا خَيَّره اللهُ بيْن أنْ يُؤْتيَه مِن زَهرةِ الدُّنْيا ما شاء»، والمَعنى: يُعْطيه مِقْدارَ ما أرادَ مِن طُولِ العُمرِ والبَقاءِ في الدُّنْيا، والتَّمتُّعِ بها، وزَهرةُ الدُّنيا: نَعيمُها وزِينَتُها، «وبيْن ما عِندَه، فاخْتارَ ما عندَه»، أي: اختارَ وفضَّلَ ما عندَ اللهِ سُبحانَه، ممَّا أعدَّ له مِن أنْواعِ النَّعيمِ المُقيمِ، ولذَّةِ اللِّقاءِ، والنَّظَرِ إلى وَجْهِه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3654.

الكَريمِ، فلمَّا سَمِع أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه ذلك القَولَ مِن النَّبيِّ ﷺ بَكى، وقال: فدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فتَعجَّبَ الحاضِرونَ مِن قَولِ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه وبُكائِه؛ إذ لم يَفْهَموا مِن كَلامِ النَّبيِّ ﷺ ما يَستَدْعي ذلك البُكاءَ والقَولَ مِن أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، ولكنَّ الصِّدِّيقَ رَضيَ اللهُ عنه قدْ فهِمَ مِن هذا الكَلامِ مُفارَقتَه ﷺ الدُّنْيا، وأنَّ العَبدَ المُخيَّرَ هو رَسولُ اللهِ ﷺ، فبَكى لذلك، وقال ما قال.

فلمَّا مات النَّبيُّ ﷺ، فهِمَ النَّاسُ مَقصِدَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مِن كَلامِه؛ ولذلك قال أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ رَضيَ اللهُ عنه: «فكان رَسولُ اللهِ ﷺ هو المُخيَّرَ»، أي: هو الَّذي خَيَّره اللهُ بيْن نَعيمِ الدُّنْيا وبيْن لِقائِه، وكان أبو بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه أعلَمَ النَّاسِ بالنَّبيِّ ﷺ.

وقد قال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في حقِّ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه: «إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحبَتِه ومالِه أبا بَكْرٍ»، ومَعْناه: أنَّه أكثَرُهم جُودًا وسَماحةً لنا بنفْسِه ومالِه، وليس هو مِن المَنِّ الَّذي هو الاعْتِدادُ بالصَّنيعةِ؛ لأنَّه أذًى مُبطِلٌ للثَّوابِ، ولأنَّ المِنَّةَ للهِ ولرَسولِه ﷺ في قَبولِ ذلك، وقال: «ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خليلًا مِن أُمَّتي لَاتَّخَذْتُ أبا بَكرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْلامِ»، والمَعنى: لو كُنتُ مُتَّخِذًا صَديقًا أنقَطِعُ إليه، وأُفرِّغُ قَلْبي لمَودَّتِه، لاتَّخَذْتُ أبا بَكرٍ، وقيلَ: أصْلُ الخُلَّةِ: الافْتِقارُ والانْقِطاعُ، فخَليلُ اللهِ: المُنقَطِعُ إليه، وقيلَ: لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قَصَرَ حاجَتَه على اللهِ تعالَى، وقيلَ: الخُلَّةُ: الاختِصاصُ، وقيلَ: الاصْطِفاءُ، والنَّبيُّ ﷺ ليس له خَليلٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قدِ اتَّخَذَه خَليلًا، وهذا لا يُنافي ما ذَكَرَه الصَّحابةُ رَضيَ اللهُ عنهم مِن اتِّخاذِهم إيَّاه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَليلًا؛ إذ لا يُشترَطُ في الخُلَّةِ أنْ تكونَ مِن الطَّرَفَينِ، ولوِ اتَّخَذَ النَّبيُّ ﷺ أحَدًا خَليلًا لَاتَّخَذَ أبا بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه؛ لأنَّه أهلٌ لذلك لولا المانِعُ؛ فإنَّ خُلَّةَ

الرَّحمَنِ تعالَى لا تسَعُ مُخالَّةَ شَيءٍ غَيرِه أصْلًا، ولم يكُنْ بيْن النَّبيِّ ﷺ وبيْنه رَضيَ اللهُ عنه إلَّا أُخوَّةُ الإسْلامِ.

وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «لا يَبقَيَنَّ في المَسجِدِ خَوْخةٌ إلَّا خَوْخةُ أبي بَكرٍ»، والخَوْخةُ: البابُ الصَّغيرُ، وكان بعضُ الصَّحابةِ فَتَحوا أبْوابًا في دِيارِهم إلى المَسجِدِ، فأمَرَ النَّبيُّ ﷺ بسَدِّها كلِّها إلَّا بابَ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه؛ ليَتميَّزَ بذلك فَضلُه.

وفي الحَديثِ: مَنقَبةٌ عَظيمةٌ لأبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه.

وفيه: تَعْريضٌ بالخِلافةِ لأبي بَكرٍ بعْدَ النَّبيِّ ﷺ.



﴿الحديث الثامن والعشرون﴾

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: أَتَتِ امْرَأَةٌ النبيَّ ﷺ، فأمَرَهَا أنْ تَرْجِعَ إلَيْهِ، قَالَتْ: أرَأَيْتَ إنْ جِئْتُ ولَمْ أجِدْكَ؟ كَأنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ، قَالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتي أبَا بَكْرٍ[1].

**********الشرح**********

اتَّفقَ أهلُ الإسْلامِ على أنَّ أبا بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه هو أحَقُّ النَّاسِ بالخِلافةِ بعْدَ النَّبيِّ ﷺ؛ فهو صاحِبُه في هِجرَتِه، وأوَّلُ مَن صدَّقَ بدَعْوتِه مِن الرِّجالِ، ونصَرَه بمالِه ونفْسِه، وقدْ ورَدَتْ إشاراتٌ تدُلُّ على أحقِّيَّتِه بالخِلافةِ بعْدَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ومِن هذه الإشاراتِ ما ورَدَ في هذا الحَديثِ، فيَرْوي جُبَيرُ بنِ مُطعِمٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ امْرأةً جاءتْ إلى النَّبيِّ ﷺ في حاجةٍ مِن أمْرِها، فأمَرَها أنْ تَرجِعَ إليه مرَّةً أُخْرى حتَّى يَقضِيَ لها حاجتَها، فقالتْ له: «فإنْ لم أجِدْكَ؟» كأنَّها تَقولُ: إنْ أصابَكَ المَوتُ فلمْ أجِدْكَ؛ فما أفعَلُ؟ فقال لها صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «إنْ لم تَجِديني فأْتي أبا بَكرٍ»؛ فإنَّه سيَقضِي حاجتَكِ. وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّه رَضيَ اللهُ عنه خَليفَتُه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، والقائمُ مَقامَه.

وقيلَ: ليس فيه نصٌّ على خِلافتِه؛ بلْ هو إخْبارٌ بالغَيبِ الَّذي أعلَمَه اللهُ به.

وإن لم يكم المراد بالحديث الموت، فيكون بهذا أبو بكر نائب رسول الله ﷺ في حياته، ومن كان نائب الملك في حياته كان خليفته بعد مماته.

---

(1) أخرجه البخاري (7220)، ومسلم (2386).

وفي الحَديثِ: فَضلٌ ومَنقَبةٌ لأبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ رَضيَ اللهُ عنه.

وفيه: أنَّ مقامَ أبي بكر لا يبلغه أحد من الصحابة.

وفيه: تصريح على خلافة أبي بكر.



﴿الحديث التاسع والعشرون﴾

عن عمرُ بن الخطابِ رضي الله عنه (موقوفا) قال: لو وُزِنَ إيمانُ أبي بكرٍ رضي اللهُ عنه بإيمانِ أهلِ الأرضِ لرجحَ بهِم[1].

********** الشرح **********

وفي هذا الأثر يخبر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن؛ إيمان أبي بكر أرجح في الميزان من إيمان أهل الأرض.

أوَّلا: صحَّة الحديث، فالحديث صحيح وهذا مفروغ منه، وبقى الخلاف بين رفعه ووقفه، والصحيح أنَّه موقوف على عمر، ولا إشكال عند أهل الحديث في رواية أحاديث الصحابة لاسيما الخلافاء الراشدون فهم يسنُّون السنن لقوله ﷺ: عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذِ...[2].

وهنا يخبرنا الخليفة الراشد المهدي عمر رضي الله عنه، بأن إيمان أبي بكر أرجح من إيمان أهل الأرض، وهذه شهادة من صاحبه، فعمر يعلم حال أبي بكر أكثر من غيره للملازمته إياه في عهد النبوَّة وفي عهد خلافة الصديق، فرأى منه إيمانا ليس له مثيل، وهذا معلوم عند أهل السنَّة بالضرورة، وهو أنَّ أبا بكر خير خلق الله تعالى بعد الأنبياء والرسل، فليس عجيبا أن ترجح كفة إيمانه على إيمان أهل الأرض مجتمعين،

(1) صحيح بالسند اللاحق ذكره: أَخْرَجَه إِسْحَاقُ بنُ رَاهَوَيْهِ في " مُسْنَدِهِ " (3/ 669)، وَأَبُو إسماعيلَ الصَّابُونيُّ في " عقيدَةِ السَّلَفِ " (رقم:110)، والخَطَّابِيُّ في " الغُنْيةِ عَنِ الكلامِ وَأَهْلِهِ " (ص:47)، وَالبيهقيُّ في " شُعَبِ الإِيمانِ " (1/ 69 _ رقم:36)، وابنُ عَسَاكِرَ في " تاريخِ دمشقَ " (30/ 127) مِنْ طَرِيقِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ، عنْ عبدِ اللَّهِ بنِ شَوْذَبٍ، عنْ محمَّدِ بنِ جُحَادةَ، عنْ سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ، عنْ هُزَيْلِ بنِ شُرَحْبِيلَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ في " السُّنَّةِ " (1/ 378 _ رقم:821 و 822)، وَأَخْرَجَهُ معاذُ بنُ المُثَنَّى في " زِيَادَاتِ مُسْنَدِ مُسَدَّدٍ " _ كَمَا في " المطالبِ العاليةِ " لابنِ حَجَرٍ (ق 150/أ مخطوط).

(2) أخرجه أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وابن ماجه (42)، وأحمد (17145) مطولاً.

وهذا لا يعني نفي الإيمان على غيره، أو أنَّ غيره مقصِّرون، لا، بل الإيمان درجات ومراتب وأعلاها بعد الأنبياء أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه.

وفي هذا الحديث شهادة من مبشر بالجنَّة وخليفة راشد مهدي وهو عمر رضي الله عنه وهو الملهم كما قال النبي ﷺ: لقَدْ كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ مِن بَنِي إسْرائِيلَ رِجالٌ يُكَلَّمُونَ مِن غيرِ أنْ يَكونُوا أنْبِياءَ، فإنْ يَكُنْ مِن أُمَّتي منهمْ أحَدٌ فَعُمَرُ[1].

فهذا الملهم المكلَّم، يُعلم الأمَّة أنَّ أبا بكر خيارها، ولعلَّ قول عمر هذا جاء عن طريق الإلهام الذي أخبر عنه الرسول ﷺ.

وفي الحديث: شهادة لأبي بكر رضي الله عنه من منافسه.

وفيه: أنَّه لا يبلغ مقام أبي بكر أحد.

(1) أخرجه البخاري (3469) واللفظ له، مسلم (2398)، والترمذي (3693)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (8119)، وأحمد (24285).



﴿الحديث الثلاثون﴾

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وعليهم قُمُصٌ، منها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، ومنها ما دُونَ ذلكَ، وعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وعليه قَمِيصٌ يَجُرُّهُ. قالوا: فَما أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: الدِّينَ[1].

*********** الشرح **********

لعُمرَ بنِ الخَطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه فضائِلُ كثيرةٌ؛ فهو خيرُ الأُمَّةِ بعدَ أبي بَكرٍ رَضيَ اللهُ عنه، وكان مُحَدَّثًا مُلْهَمًا، ونزَلَتْ بعضُ الآياتِ في القُرآنِ موافقةً لرَأيِهِ، وحِينَما صار أميرًا للمُؤمنينَ وراعيًا لهم، كان يَتحرَّى العَدلَ، ويُوضِّحُ لرَعيَّتِه كثيرًا مِن الأمورِ التي تُصلِحُ أحوالَهم، وتُرشِدُهم إلى الطَّريقِ القويمِ، وتُيسِّرُ عليهم مَعاشَهم.

وفي هذا الحَديثِ بيانٌ لبعضِ فَضائلِه، حيثُ يقُصُّ النبيُّ ﷺ على أصحابِه رَضيَ اللهُ عنهم رُؤْيا رآها، فيقولُ: بيْنما كُنتُ نائمًا، رأيتُ النَّاسَ أثناءَ نومي وهم يمُرُّون مِن أمامي وعليهم قُمُصٌ وثيابٌ مختلِفةُ الأطوالِ؛ فمِن النَّاسِ مَن تصِلُ قُمُصُهم وثيابُهم إلى ثُدِيِّهم في منتصَفِ صُدورِهم، ولا تَستُرُ كلَّ أجسادِهم، ومنهم ما دُونَ ذلك، فكانتْ ثيابُهم وقُمُصهم أقْصَرَ منه أو أطوَلَ منه، أو أعَمَّ مِنهما بِناءً على أنَّ «دُونَ ذلك» بمعنى: غيرُ ذلك، حتَّى مرَّ عمرُ بنُ الخطَّابِ وعليه قميصٌ طويلٌ يسحَبُه وراءَه، فلمَّا سُئِل عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: بِمَ أوَّلْتَ ذلك؟ أي: ما تَعبيرُه وتَفسيرُه؟ قال: الدِّينَ، أي: أوَّلتُه الدِّينَ، والمرادُ بالدِّينِ: العَملُ بمُقْتضاهُ؛ كالحِرصِ على امتِثالِ الأوامرِ، واجتنابِ المَناهي، وكان لِعُمرَ رَضيَ اللهُ عنه فِي ذلك المقامُ العالي؛ ولذلك

---

(1) أخرجه البخاري (23)، ومسلم (2390).

رآهُ بثِيابٍ سابغةٍ طويلةٍ يجُرُّها خلْفَه، وجَرُّه لثيابِه يدُلُّ على بقاءِ آثارِه الجَميلةِ وسُنَّتِه الحسَنةِ في المسلِمينَ بعدَ وفاتِه لِيُقتدَى به، وقيل: تفسيرُ القَميصِ في المنامِ بالدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ والإسلامَ والتَّقوى كلٌّ هذه تُوصَفُ بأنَّها لباسٌ؛ قال تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}[الأعراف: 26]؛ وأنَّ القميصَ يستُرُ عورةَ الإنسانِ، ويَحجُبُه مِن وقوعِ النَّظرِ عليها، فكذلك الدِّينُ يستُرُه مِن النَّارِ ومِن الفَضائحِ الدُّنيويَّةِ، ويحجُبُه عن كلِّ مَكروهٍ، ولأنَّ الدِّينَ يَشمَلُ الإنسانَ ويَحفظُه ويَقِيه المُخالفاتِ كوِقايةِ الثَّوبِ وشُمولِه؛ فمَنِ استكثَرَ مِن الطاعاتِ زاد سترُه، ومَن تقلَّل نقَصَ عملُه، وقَلَّ سترُه.

وفي الحَديثِ: بيانُ مَنقَبةٍ عَظيمةٍ لعمرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه.

وفيه: شهادة من رسول الله ﷺ على فضل عمر رضي الله عنه.

وفيه: أنَّ الأعمالَ مِن الإيمانِ، وأنَّ أهلَ الإيمانِ يَتفاضَلون فيه.



﴿الحديث الحادي والثلاثون﴾

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: بيْنَا أنَا نَائِمٌ، أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ حتَّى إنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ في أظْفَارِي، ثُمَّ أعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قالوا: فَما أوَّلْتَهُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: العِلْمَ[1].

*********** الشرح ***********

رُؤْيا الأنبياءِ حَقٌّ وصِدقٌ، ووَحْيٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ، وقد كان النبيُّ ﷺ يُبشِّرُ أصحابَه رَضيَ اللهُ عنهم برُؤياهُ التي يَراها.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ رَأى أثناءَ نَومِه أنَّه قُدِّمَ له إناءٌ مِن لبَنٍ، فشَرِبَ وارْتوى كَثيرًا، حتَّى صار يَرى أثَرَ الشِّبَعِ والارتواءِ باللَّبَنِ يَخرُجُ مِن أصابعِه، ويَسيلُ على أظفارِه، وهو إشارةٌ إلى اكتمالِ جَسَدِه بحاجتِه وفاض حتَّى خَرَجَ ما زادَ منه، ثمَّ أعْطى ما تَبقَّى منه إلى عُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه فشَرِبَه، ثم فسَّر صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ اللَّبَنِ بالعلمِ، وكأنَّ ذلك بِشارةٌ لعُمرَ رَضيَ اللهُ عنه أنْ يَتفوَّقَ في عُلومِ الشَّريعةِ؛ لأنَّه نَهِلَ مِن ذلك اللَّبَنِ الَّذي شَرِبَ منه النبيُّ ﷺ، فدلَّ ذلك على اختِصاصِه وامتيازِه بقدْرٍ زائدٍ مِن العِلمِ.

وقيل: تَفسيرُ اللَّبَنِ بالعِلمِ؛ لاشتراكِهما في كَثرةِ النَّفعِ، وفي أنَّهما سَببُ الصَّلاحِ؛ فاللَّبَنُ غِذاءُ الأطفالِ، وسَببُ صَلاحِهم، وقُوتٌ للأبدانِ بعد ذلك، والعِلمُ سَببٌ لصَلاحِ الآخرةِ والدُّنيا.

وفي الحديثِ: فضْلُ العِلمِ وشرَفُه، وأهميَّتُه بالنِّسبةِ للإنسانِ.

وفيه: بَيانُ فَضيلةٍ لعُمرَ رَضيَ اللهُ عنه وأنَّه خليفة رسول الله ﷺ في العلم والقيادة.

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه 82.



﴿الحديث الثاني والثلاثون﴾

عن سعد بن أبي وقاص: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وعِنْدَهُ نِساءٌ مِن قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ ويَسْتَكْثِرْنَهُ، عالِيَةً أصْواتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُمْنَ يَبْتَدِرْنَ الحِجابَ، فأذِنَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ ورَسولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فقالَ عُمَرُ: أضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: عَجِبْتُ مِن هَؤُلاءِ اللَّاتي كُنَّ عِندِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجابَ! قالَ عُمَرُ: فأنْتَ يا رَسولَ اللَّهِ كُنْتَ أحَقَّ أنْ يَهَبْنَ، ثُمَّ قالَ: أيْ عَدُوَّاتِ أنْفُسِهِنَّ؛ أتَهَبْنَنِي ولا تَهَبْنَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟! قُلْنَ: نَعَمْ، أنْتَ أفَظُّ وأَغْلَظُ مِن رَسولِ اللَّهِ ﷺ، قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: والَّذي نَفْسِي بيَدِهِ، ما لَقِيَكَ الشَّيْطانُ قَطُّ سالِكًا فَجًّا إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ[1].

********** الشرح **********

كان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أحْلَمَ النَّاسِ وأرفَقَهم بِأُمَّتِه، وكان يَستمِعُ إلى الصَّغيرِ والكبيرِ، والرِّجالِ والنِّساءِ، ويُعلِّمُهم أُمورَ دينهم.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ سَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه كان عِندَ النَّبيِّ ﷺ نِساءٌ مِنْ قُريشٍ يُكلِّمْنَه ويَسْتكثِرْنَه، فيَطلُبْنَ كَثيرًا مِن كَلامِه وجَوابِه بحَوائجِهنَّ وفَتاوِيهنَّ، وكنَّ يُكلِّمْنَه بأصواتٍ عاليةٍ، ويَحتمِلُ أنَّ هذا قبْلَ النَّهيِ عن رفْعِ الصَّوتِ فوقَ صَوتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، ويَحتمِلُ أنَّ عُلوَّ أصواتِهنَّ إنَّما كان لاجتماعِها، لا أنَّ كَلامَ كلِّ واحدةٍ بانفرادِها أعْلى مِن صَوتِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ.

فاسْتأذَنَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه في الدُّخولِ على النَّبيِّ ﷺ، فقامَ النِّسوةُ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3294.

يَتسارعْنَ إلى الاستتارِ – وليس المقصودُ هنا الحِجابَ الشَّرعيَ المفروضَ على المرأةِ، بلِ المقصودُ الاستتارُ – عَن عُمرَ رَضيَ اللهُ عنه، فلمَّا رَأى النَّبيُّ ﷺ فِعلَهنَّ ضحِكَ، فقال له عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: أضحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ اللهِ، وهو دُعاءٌ بِمُلازمةِ الضَّحكِ والسُّرورِ، فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «عَجبْتُ مِن هؤلاءِ اللَّاتي كُنَّ عندي، فلمَّا سَمِعْنَ صَوتَكَ ابتدَرْنَ الحِجابَ!»، يعني: كُنَّ يَرفَعْنَ أصواتَهنَّ في الحديثِ معي، فلمَّا أتَيتَ أنتَ سارَعوا إلى الاستتارِ؛ خَشيةً منكَ، فقال عُمرُ رَضيَ اللهُ عنه: «فأنتَ يا رسولَ اللهِ كُنتَ أحقَّ أنْ يَهبْنَ»، يعني: أوْلَى بأنْ يحترمنك ويوقرنَّك ويعظمنَّك، ثُمَّ قال عمَرُ لائمًا لهنَّ: «أَيْ عَدُوَّاتِ أنفُسِهنَّ، أتهبْنَني»، أي: أتُوقِّرْنَني وتُعظِّمْنَني، «ولا تَهبْنَ رسولَ اللهِ ﷺ؟! قُلنَ: نعمْ، أنتَ أفظُّ وأغلَظُ مِن رَسولِ اللهِ صلَّى ﷺ»، والفَظُّ والغليظُ بمعنًى واحدٍ، وهما عبارةٌ عن شِدَّةِ الخُلقِ وخُشونةِ الجانبِ، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حَليمًا رَؤوفًا بهنَّ وبعامَّةِ الأمَّةِ، وقَولُ النِّساءِ: «أفظُّ وأغلَظُ» بصِيغةِ أفعَلِ التَّفضيلِ يَقْتضي الشَّرِكةَ في أصْلِ الفعلِ، ويُعارِضُه قولُه تعالَى: {وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}[آل عمران: 159] الآيةَ؛ فإنَّه يَقْتضي أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يكُنْ فظًّا ولا غَليظًا. والجوابُ: أنَّ الَّذي في الآيةِ يَقْتضي نفْيَ وُجودِ ذلك له صِفةً لازمةً، فلا يَستلزِمُ ما في الحديثِ ذلك، بلْ مُجرَّدُ وُجودِ الصِّفةِ له في بَعضِ الأحوالِ، وهو عندَ إنكارِ المنكَرِ مَثلًا.

وكان النَّبيُّ ﷺ لا يُواجِهُ أحَدًا بما يَكرَهُ إلَّا في حقٍّ مِن حُقوقِ اللهِ تعالى، وكان عمَرُ يُبالِغُ في الزَّجرِ عن المكروهاتِ مُطلَقًا، وطَلَبِ المندوباتِ، فلهذا قال النِّسوةُ له ذلك.

ثمَّ أقسَمَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «والَّذي نفْسِي بيَدِه» أي: باللهِ الَّذي رُوحُه بيَدِه يُصرِّفُها كيف يَشاءُ، وكان صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كَثيرًا ما يُقسِمُ بهذا القسَمِ، «ما لَقِيَكَ الشَّيْطانُ قَطُّ سالِكًا فَجًّا إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ» فالشَّيطانُ يَهرُبُ مِنَ الطَّريقِ الَّذي

يَسلُكُه عُمرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه؛ خَوفًا منه، أو المعْنى: أنَّ عُمرَ رَضيَ اللهُ عنه فَارقَ سَبيلَ الشَّيطانِ وسَلكَ طَريقَ السَّدادِ، فخالَفَ كلَّ ما يُحِبُّه الشَّيطانُ.

بل قيل أنَّ الشيطان كلَّما وسوس لعمر بترك مندوب أو غيره فعله وزاد عليه، وكلما وسوس الشيطان لعمر بشيء فعل ضدَّه ممَّا ينفعه في دينه.

فأصبحت وسوسة الشياطين منفعة له حيث كلما وسوس له الشيطان زاد في الطاعة، فعلى هذا أصبح الشيطان يفر منه فعدم الوسوسة له أو منها. والله أعلم.

وفي الحديثِ: فضْلٌ ومَنقَبةٌ لعمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه حيث تفر منه الشياطين.

وفيه: أنَّ الشَّيطانَ يَخافُ مِن المؤمنِ التَّقيِّ.



﴿الحديث الثالث والثلاثون﴾

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لقَدْ كانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فإنْ يَكُ في أُمَّتي أحَدٌ، فإنَّه عُمَرُ. زادَ زَكَرِيّاءُ بنُ أبِي زائِدَةَ، عن سَعْدٍ، عن أبِي سَلَمَةَ، عن أبِي هُرَيْرَةَ، قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: لقَدْ كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ مِن بَنِي إسْرائِيلَ رِجالٌ يُكَلَّمُونَ مِن غيرِ أنْ يَكونُوا أنْبِياءَ، فإنْ يَكُنْ مِن أُمَّتي منهمْ أحَدٌ فَعُمَرُ[1].

************ الشرح ************

يَصْطَفي اللهُ سُبحانَه وتعالَى مِن خَلقِه مَن يَشاءُ؛ ليَقذِفَ في قَلبِه مِن أنْوارِ النُّبوَّةِ والهُدى، ويَفيضَ عليه مِن العَملِ والإلْهامِ ما يَشاءُ سُبحانَه، وكان عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه مِن هؤلاء المُحَدَّثينَ، يَعني: منَ المُلهَمينَ الَّذين يَجْري الصَّوابُ على ألسِنَتِهم، أو يَخطُرُ ببالِهِمُ الشَّيءُ فيَكونُ بفَضلٍ مِن اللهِ تعالَى وتَوْفيقٍ، وقدْ وافَقَ عُمَرُ رَضيَ اللهُ عنه الوَحيَ في حَوادثَ كَثيرةٍ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ المُحدَّثينَ المُلْهَمينَ مَوْجودونَ في الأُمَمِ السَّابقةِ، ولو كان في هذه الأُمَّةِ أحَدٌ منهم، فإنَّه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه.

وهؤلاء المُحَدَّثونَ كما أخبَرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، يُكلَّمونَ مِن غيرِ أنْ يَكونوا أنْبياءَ، يَعني: يُلْهَمونَ إلى الرُّشدِ والصَّوابِ مِن غَيرِ أنْ يُرسِلَ اللهُ إليهم وَحْيًا كالأنْبياءِ.

وفي الحديث: مَنقَبةٌ عظيمة وفضيلة وخاصِّية لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضيَ اللهُ عنه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3689.



﴿الحديث الرابع والثلاثون﴾

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ مُضْطَجِعًا في بَيْتِي، كَاشِفًا عن فَخِذَيْهِ، أَوْ سَاقَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ فأذِنَ له، وَهو علَى تِلكَ الحَالِ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فأذِنَ له، وَهو كَذلكَ، فَتَحَدَّثَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَ رَسولُ اللهِ ﷺ، وَسَوَّى ثِيَابَهُ، قالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذلكَ في يَومٍ وَاحِدٍ، فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَ، فَلَمَّا خَرَجَ قالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ تَهْتَشَّ له وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَلَمْ تَهْتَشَّ له وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ فَجَلَسْتَ وَسَوَّيْتَ ثِيَابَكَ فَقالَ: أَلَا أَسْتَحِي مِن رَجُلٍ تَسْتَحِي منه المَلَائِكَةُ[1].

********** الشرح **********

وفي هذا الحديثِ تَحكي عائشَةُ رضِي اللهُ عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان مُضطجِعًا في بَيتِه كاشفًا عن فَخِذَيه أو ساقَيْه، فاستَأذنَ أَبو بكرٍ، فأَذِنَ له بالدُّخولِ وَهوَ عَلى تلكَ الحالِ، فتَحدَّثَ، ثُمَّ استَأذَنَ عُمرُ، فأَذِنَ لَه بالدُّخولِ وهوَ كَذلكَ، فتَحدَّث، ثُمَّ استأذَنَ عُثمانُ، فجَلَس صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، أي: بَعدَما كان مُضطَجِعًا، وسَوَّى ثِيابَه، أي: بَعدَ عَدمِ تَسويَتِه؛ فلمَّا خَرجَ عُثمانُ وخَرجَ القَومُ سَألتْ عائشَةُ النَّبيَّ ﷺ: دَخلَ أَبو بَكرٍ فلَمْ "تَهتَشَّ له"، والهَشاشَةُ: البَشاشَةُ وطَلاقَةُ الوَجهِ وحُسنُ الالتِقاءِ، "ولم تُبالِه"، أي: تَكترِثْ له، ثُمَّ دَخلَ عُمَرُ فَلم تَهتَشَّ لَه ولم تُبالِه، ثُمَّ دَخلَ عُثمانُ فجَلَسْتَ وسَوَّيْتَ ثِيابَك؟! فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَلا أَستحِيي مِن رَجلٍ تَستَحيي

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 2401.

مِنه الملائكَةُ؟! وهَذا وإنْ كانَ فِيه فَضيلةٌ لعثمانَ إلَّا أنَّه لا يَحطُّ مِن مَنصبِ أَبي بكرٍ وعُمَرَ رضِي اللهُ عنهما عندَه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، وقِلَّةُ الالتِفاتِ إليهما؛ لأنَّ قاعدَةَ المَحبَّةِ إذا كَمُلَت واشتَدَّت ارتَفَعَ التَّكلُّفُ كما قيلَ: إذا حَصَلتِ الأُلفَةُ بَطَلتِ الكُلفَةُ، واللهُ أعلمُ.

في الحديثِ: فَضلُ عُثمانَ رضِي اللهُ عنه، وشِدَّة حيائِه حتَّى أنَّ الملائكة تستحي منه.

وفيه: أنَّ الحياءَ صِفةٌ جَميلةٌ مِن صِفاتِ المَلائكَةِ



﴿الحديث الخامس والثلاثون﴾

عن سعد بن أبي وقاص قال: خَلَّفَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ في غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، تُخَلِّفُنِي في النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقالَ: أَما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؟ غيرَ أنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي[1].

عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضيَ اللهُ عنه الخَليفةُ الرَّابعُ للمُسلِمينَ، وأحَدُ العَشَرةِ المُبشَّرينَ بالجَنَّةِ، وابنُ عمِّ النَّبيِّ ﷺ، وزَوجُ ابنَتِه فاطمةَ رضي الله عنها، وأبو الحَسَنِ والحُسَينِ رضي الله عنهما، سِبطَيْ رَسولِ اللهِ ﷺ.

وفي هذا الحَديثِ ذِكرُ فَضيلةٍ مِن فَضائلِ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنه، حيث قال له النَّبيُّ ﷺ: «أمَا تَرْضى أنْ تَكونَ منِّي بمَنزِلةِ هارونَ مِن مُوسى؟» أي: نازِلًا منِّي مَنزلةَ هارونَ مِن موسى؛ وذلك أنَّ مُوسى عليه السَّلامُ قال لأخيهِ حينَ أرادَ الخُروجَ إلى الطُّورِ: اخلُفْني في قَوْمي، كما قال تعالَى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي}[الأعراف: 142]، أي: بَني إسْرائيلَ، وسَببُ قَولِ النَّبيِّ ﷺ هذا القولَ لعَلِيٍّ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ حينَ خَرَج إلى تَبوكَ في السَّنةِ التَّاسِعةِ منَ الهِجرةِ لم يَستَصحِبْه؛ لأنَّه كان مَريضًا، وفي رِوايةِ مُسلمٍ: «فقال عليٌّ: تُخلِّفُني في النِّساءِ والصِّبيانِ؟» كأنَّه استَنقَصَ تَرْكَه وَراءَه، فقال له النَّبيُّ ﷺ هذا القولَ.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 3706، ومسلم 2404.

وزادَ في رِوايةِ مُسلمٍ أيضًا: «غيرَ أنَّه لا نَبيَّ بَعْدي»، لَمَّا شبَّهَه في تَخْليفِه إيَّاه بهارونَ حينَ خلَّفه مُوسى، خاف أنْ يَتأوَّلَ مُتأوِّلٌ فيَدَّعيَ النُّبوَّةَ لعلِيٍّ، كما خَلَف هارونُ نُبوَّةَ مُوسى عليهما السَّلامُ؛ لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خاتَمُ النَّبيِّينَ.

وصحيح القول: أنَّ الرسول ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، ولم يبقى إلَّا عليٌّ رضي الله عنه، فآخى الرسول ﷺ نفسه معه، فهو أخوه بتك الحالة، لذلك قال: أَما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى.

وفي الحديث: بيان واضح على خلافة عليٍّ لرسول الله ﷺ في الوقت الذي قدره الله له.

وفيه: عظيم مقام عليٍّ رضي الله عنه عند رسول الله ﷺ.

ولو قال قائل أنه لا يكون بعد أبي بكر في الفضل لا في الخلافة عليٌّ، لصدق، وهذا محل نزاع بين أهل العلم واجتمعوا على مراتبهم أي الخلفاء بمراتب خلافتهم، والصحيح أنَّه لا يعرف مقام تفاضلهم إلَّا الله تعالى وحده، وأنَّهم كلُّهم على الخير وكلٌّ وعد الله الحسنى، ولكل منهم منقبة عظيمة.



﴿الحديث السادس والثلاثون﴾

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص: أمر معاويةُ بنُ أبي سفيانَ سعدًا فقال ما منعك أن تَسُبَّ أبا ترابٍ؟ قال: أَمَا ما ذَكَرْتُ ثلاثًا قالهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ فلن أَسُبَّهُ لَأَن تكونَ لي واحدةٌ منهن أَحَبَّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمِ سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لعليٍّ وخَلَّفَه في بعضِ مَغَازِيهِ فقال له عليٌّ يا رسولَ اللهِ تُخَلِّفُنِي مع النساءِ والصِّبيانِ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: أَمَا تَرْضَى أن تكونَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنه لا نُبُوَّةَ بعدي، وسَمِعتُه يقول يومَ خَيْبَرَ لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه، قال: فتطَاوَلْنا لها: فقال: ادْعُوا لي عليًّا قال فأتاه وبه رَمَدٌ فبَصَق في عينِهِ فدفع الرايةَ إليه ففتح اللهُ عليه، وأُنْزِلَت هذه الآيةُ {فقلْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ}[آل عمران: 61] الآية، دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحَسَنًا وحُسَيْنًا فقال اللهم هؤلاء أهلي[1].

********** الشرح **********

كان الصَّحابةُ رَضِي اللهُ عَنهم يَعرِفون مَنزِلةَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ عِندَ النَّبيِّ ﷺ، ومِن أجلِ ذلك كانو يُجِلُّونه ويَحترِمونه ويُحِبُّونه لِحُبِّ النَّبيِّ ﷺ له، لقرابته منه، ولمكانته عنده.

وفي هذا الحديثِ يَقولُ التَّابعيُّ الجليلُ عامِرُ بنُ سعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ: "أَمَر مُعاويةُ بنُ

---

(1) رواه مسلم 2404.

أبي سُفيانَ سعدًا"، أي: أمَر معاويةُ سعدَ بنَ أبي وقَّاصٍ أمْرًا ما، وذلك عِندَما صار مُعاويةُ أميرَ المؤمنين، قيل: وقولُ مُعاويةَ هذا ليس فيه تَصريحٌ بأنَّه أمَر سَعدًا بسَبِّ عليٍّ رضِيَ اللهُ عنهم جميعًا، وإنَّما سألَه عن السَّببِ المانعِ له مِن السَّبِّ، كأنه يقولُ: هل امتنعت تورُّعًا أو خوفًا أو غير ذلك، فإنْ كان تورُّعًا وإجلالًا له عن السبِّ فأنتَ مُصيبٌ محسنٌ، وإنْ كان غيرَ ذلك فله جوابٌ آخر، ولعلَّ سَعدًا قد كان في طائفة يَسبُّون فلم يسُبَّ معهم، وقيل: يَحتمِلُ أنَّ معناه: ما منَعَك أنْ تُخطِّئَ عليًّا في رأيِه واجتهادِه، وتُظهِرَ للناسِ حُسنَ رأينا واجتهادِنا، وأنَّه أخطأ؟ "فقال"، أي: قال مُعاويةُ لسعدٍ: "ما منَعك أن تَسُبَّ أبا تُرابٍ"، وأبو تُرابٍ هي كُنيةُ عليٍّ كنَاه بها النَّبيُّ ﷺ، والمعنى: ما السَّببُ الَّذي جعَلك تَمتنِعُ عن سَبِّ عليِّ بنِ أبي طالبٍ؟ "قال"، أي: قال سعدٌ لِمُعاويةَ: "أمَّا ما ذكَرتُ"، أي: أمَّا سبَبُ عدَمِ سبِّي لعليِّ بنِ أبي طالبٍ فهو ذِكْري "ثَلاثًا قالَهنَّ رَسولُ اللهِ ﷺ"، أي: فلأنِّي أذكُر ثلاثةَ أشياءَ قالها النَّبيُّ ﷺ في عليٍّ، "فلَن أسُبَّه"، أي: فامتنَعتُ عن سَبِّه مِن أجلِ ما قاله النَّبيُّ ﷺ في حقِّه، "لَأَنْ تَكونَ لي واحدةٌ مِنهنَّ أحبُّ إليَّ مِن حُمْرِ النَّعَمِ"، أي: ولَأَنْ أظْفَرَ بشيءٍ ممَّا قاله النَّبيُّ ﷺ في حقِّ عليٍّ لَهُو أحَبُّ إليَّ مِن أن تَكونَ لي النُّوقُ الحُمْرُ، وهي مِن أشرَفِ الأموالِ وأنفَسِها عندَ العربِ.

ثمَّ بدَأَ سعدٌ يُعدِّدُها، فقال: "سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لعليٍّ، وخَلَّفه في بعضِ مَغازيه"، أي: أمَّر النَّبيُّ ﷺ عليًّا في غزوةٍ مِن الغزواتِ -وهي غزوةُ تَبوكَ- أن يَمكُثَ معَ النِّساءِ والصِّبيانِ يَحْميهم، ولا يَخرُجُ معَهم في الغزوِ، "فقال له عليٌّ"، أي: قال عليٌّ للنَّبيِّ ﷺ: "يا رسولَ اللهِ، تُخلِّفُني مع النِّساءِ والصِّبيانِ!"، أي: استنكَر عليُّ بنُ أبي طالبٍ أن يَترُكَه النَّبيُّ ﷺ مع النِّساءِ والصِّبيانِ ولا يَخرُجَ معَهم في الغزوِ، فكأنَّه

كان يَستعطِفُ النَّبيَّ ﷺ لِيَغزُوَ معَه، "فقال له رسولُ اللهِ ﷺ"، أي: قال النَّبيُّ ﷺ لعليٍّ: "أمَا تَرْضَى أن تَكونَ منِّي بمِنْزِلةِ هارونَ مِن موسى؟"، أي: أمَا يُرضيك يا عليُّ أن تكونَ وزيري كما كان هارونُ وزيرًا لِمُوسى عليهما السَّلامُ؟ "إلَّا أنَّه لا نُبوَّةَ بَعْدي"، أي: إلَّا أنَّه لا نبيَّ بَعْدي؛ فأنا خاتَمُ الأنبياءِ، وقال النَّبيُّ ﷺ ذلك؛ لأنَّ هارونَ عليه السَّلامُ خَلَف موسى عليه السَّلامُ في قومِه بعدَ أنْ خرَج موسى لملاقاةِ ربِّه، وكان هارونُ نبيًّا، فمثَّل النَّبيُّ ﷺ عَلِيًّا بهارونَ في، ثمَّ نفَى عن عليٍّ النُّبوَّةَ بعدَه؛ حتَّى لا يتَوهَّمَ أحدٌ أنَّ عليًّا سيَخلُفُ النُّبوَّةَ بعدَ النَّبيِّ ﷺ كما خلَف هارونُ نُبوَّةَ موسى عليهِما السَّلامُ؛ لأنَّه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم خاتمُ النَّبيِّين.

قال سعدٌ: "وسَمِعتُه يقولُ يومُ خَيبرَ"، أي: سَمِع سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ النَّبيَّ ﷺ يقولُ يومَ غزوةِ خَيبرَ: "لَأُعطِيَنَّ الرَّايةَ رجُلًا يحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللهُ ورسولُه"، والرَّايةُ هي عَلَمُ الجيشِ الَّذي يُحمَلُ في الحُروبِ، والمقصودُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سوف يُعطي الرَّايةَ لرَجُلٍ يُحِبُّ اللهَ ويحبُّ النَّبيَّ ﷺ، وكذلك يحبُّ اللهُ هذا الرَّجلَ ويحبُّه النَّبيُّ ﷺ، وهذه شهادةٌ من النَّبيِّ ﷺ يتمنَّاها كلُّ مسلِمٍ، "قال فتَطاوَلْنا لها"، أي: قال سعدٌ: فتَأهَّبْنا للرَّايةِ؛ فكلُّ واحدٍ مِنَّا تمنَّى أن يَحمِلَ هو الرَّايةَ؛ لِيَفوزَ بما قاله النَّبيُّ ﷺ، "فقال: ادْعوا لي عليًّا"، أي: فقال النَّبيُّ ﷺ: نادوا واستَدْعوا لي عليَّ بنَ أبي طالبٍ وأحضِروه لي، "قال: فأتاه وبه رمَدٌ"، أي: فأتَى عليٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ وعينُه مَريضةٌ وبها رمَدٌ، "فبَصَق في عينِه"، أي: فتَفَل النَّبيُّ ﷺ في عينِ عليٍّ ووضَع ريقَه فيها، فشَفاه اللهُ عزَّ وجلَّ، وتِلك مِن مُعجِزاتِ النَّبيِّ ﷺ؛ حيث شُفِيَ عليٌّ ببرَكةِ رِيقِ النَّبيِّ ﷺ، "فدفَع الرَّايةَ إليه"، أي: فأعطى النَّبيُّ ﷺ علَمَ الجيشِ لعليٍّ، "ففتَح اللهُ عليه"، أي: فانتصَر عليٌّ في المعركةِ وفتَح اللهُ عزَّ وجلَّ عليه خيبرَ.

وقال سعدٌ في الثالثةِ: "وأُنزِلَت هذه الآيةُ: {نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ} [آل عمران: 61] الآيةَ"، أي: ولَمَّا نزَلَت الآياتُ الَّتي في سورةِ آلِ عِمْرانَ: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[آل عمران: 61] "دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحسَنًا وحُسينًا"، أي: جمَع النَّبيُّ ﷺ علِيَّ بنَ أبي طالبٍ وزَوجتَه فاطمةَ بنتَ النَّبيِّ ﷺ وابنَيْهِما الحسَنَ بنَ عليٍّ والحُسينَ بنَ عليٍّ، ثمَّ قال النَّبيُّ ﷺ بعدَما جمَعَهم: "اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلي"، أي: أُشهِدُك يا ربِّ أنَّ هؤلاءِ أهلي وعشيرتي.

وفي الحديث: شهادة من صحابي جليل من العشرة المبشرين بفضل علي رضي الله عنه، وأنَّهم كانوا يتمنون منزلته.

وفيه: أنَّ علي من سادات أهل بيت رسول الله ﷺ.

وفيه: أنَّ مقام عليٍّ لا يعلمه إلَّا الله وحده فمناقبه أكثر مما تعد، وثناء النبي ﷺ عليه أكثر من أن يحصى.



﴿الحديث السابع والثلاثون﴾

أقبلنا مع رسولِ اللهِ ﷺ في حجتِه التي حجَّ فنزل في بعضِ الطريقِ فأمر الصلاةَ جامعةً فأخذ بيدِ عليٍّ رضي الله عنه فقال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسِهم؟ قالوا: بلى، قال: ألستُ أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا وليُّ من أنا مولاه، اللَّهمَّ والِ من والاهُ اللهمَّ عادِ من عاداهُ[1].

*********** الشرح ***********

لعلِيِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِي اللهُ عَنه مَناقِبُ كَثيرةٌ؛ فهو مِن آلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ، وزَوجُ بِنتِه، وأحَدُ الخُلفاءِ الرَّاشِدين.

وهذا الحديثُ فيه بيانٌ لبعضِ مناقبِ علي رضي الله عنه التي لا تكاد تحصى، حيثُ يَقولُ البراءُ بنُ عازِبٍ: "أقبَلْنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في حَجَّتِه الَّتي حَجَّ"، أي: رجَعْنا مِن حَجَّةِ الوداعِ مع النَّبيِّ ﷺ، "فنزَل في بعضِ الطَّريقِ"، أي: بمَكانٍ، وفي روايةٍ حدَّدَت أنَّه يُسمَّى غَديرَ خُمٍّ، وهو بِئرٌ يقع في منتصف المسافة بين مكة المكرمة و المدينة المنورة، "فأمَر الصَّلاةَ جامِعةً"، أي: فأمَر مَن يُنادي على الصَّلاةِ في جَماعةٍ، وتلك الصَّلاةُ هي الظُّهرُ، "فأخَذ"، أي: النَّبيُّ ﷺ "بيَدِ علِيٍّ رَضِي اللهُ عَنه، فقال: أَلَسْتُ أَوْلى بالمؤمِنين مِن أنفُسِهم؟!" وهذا استفهامٌ تقريريٌّ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ أَوْلى بالمؤمِنين وبالحُكْم فيهم مِن أنفُسِهم، "قالوا: بَلى، قال: أَلَستُ أَوْلى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفْسِه؟!"،

---

(1) صحيح: أخرجه ابن ماجه (116) واللفظ له، وأحمد (18502).

وقيل: مَعناه: أَلَسْتُ أحَقَّ بالمحبَّةِ والتَّوقيرِ والإخلاصِ بمَنزِلةِ الأبِ للأولادِ؟! كما يُشيرُ إليه قولُه تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ}[الأحزاب: 6]، "قالوا: بَلى"، فلَمَّا أقَرُّوا ذلك قال النَّبيَّ ﷺ: "فهذا وَلِيُّ مَن أنا مَوْلاه، اللَّهمَّ والِ مَن والاه، اللَّهمَّ عادِ مَن عاداه".

وقولُه: "فهذا وَلِيُّ مَن أنا مَوْلاه"، معناه: محبوبُ مَن أنا مَحبوبُه، قال: ويَدُلُّ على هذا المعنى قولُه: "اللَّهمَّ والِ مَن والاه": أي أحِبَّ مَن أحَبَّه؛ بقرينةِ: "اللَّهمَّ عادِ مَن عاداه"، والمَوْلى يطلق أيضًا على النَّاصِرِ والمُعينِ؛ وعلى هذا فالحديثُ ليس له تَعلُّقٌ بالخِلافةِ أصلًا كما زعَمَتِ الشِّيعةُ.

والولاية اصطلاحا هي: هي سلطة شرعية يتمكن بها صاحبها من إدارة شؤون المولى عليه وتنفيذها[1].

وكل تعريفات الولاية تدور حول هذا المعنى، ومن هنا بدأت ملحمة ولاية علي رضي الله عنه وخلافة، وأصبح القوم بين النقيضين، بين غالٍ في عليٍّ وجافٍ.

وصحيح الحديث يدلُّ على ولاية عليٍّ المطلقة على المسلمين، ويدل على خلافته، لكنَّه لم يدلَّ على زمن خلافته، ولو كان الحديث يدلُّ على وجوب خلافة علي لرسول الله ﷺ مباشرة بعد وفاته لفهم هذا الصحابة، ومن المعلوم أنَّ هذا حديث شهده المئات من الصحابة، ولم ينكر أحد منهم خلافة أبي بكر، ولم يستشهد أحد منهم بهذا الحديث.

---

(1) أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي ص(27)، بتصرف.

لكنَّهم مع ذلك والوْا عليًّا ووقَّروه وبجَّلوه وأتمروا بأوامره، وكان الخلفاء لا يقضون أمرا جللا حتَّى يستشرون عليًّا، من ذلك:

عن أبي ظَبْيانَ الجَنْبيِّ: أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضِي اللهُ عنه أُتِيَ بامرأةٍ قد زَنَتْ، فأمَر برجْمِها، فذهَبوا بها لِيرجُموها، فلَقِيهم عليٌّ رضِي اللهُ عنه فقال: ما هذه؟ قالوا: زَنَتْ فأمَر عُمرُ برجْمِها، فانتَزَعها عليٌّ من أَيْديهم وردَّهم، فرجَعوا إلى عمرَ رضِي اللهُ عنه، فقال: ما ردَّكم؟ قالوا: ردَّنا عليٌّ رضِي اللهُ عنه ، (وهذا من موالاتهم لعي) ، قال: ما فعَل هذا عليٌّ إلَّا لشيءٍ قد علِمه، (وهذا من توقيره لعلي) فأرسَل إلى عليٍّ فجاء وهو شِبهُ المُغضَبِ (وهذا من ولاية علي)، فقال: ما لكَ ردَدْتَ هؤلاء؟ قال: أمَا سمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: عنِ النَّائمِ حتى يَستيقِظَ، وعنِ الصَّغيرِ حتى يكبَرَ، وعنِ المُبْتَلى حتى يَعقِلَ، قال: بَلى، قال عليٌّ رضِي اللهُ عنه: فإنَّ هذه مُبْتَلاةُ بَني فُلانٍ، فلعلَّه أَتاها وهو بها(وهذا من علم علي)، فقال عمرُ: لا أَدْري، قال: وأنا لا أَدْري (وهذا من شدة علي في دين الله تعالى). فلم يرجُمْها[1].

وكذلك مشورته في حد الخمر فزاد عليٌّ أربعين جلدة وقال: نراه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون.

وكان علي رضي الله عنه ناصحا لأبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر يأخذ بقوله، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن ذلك ما جاء

---

(1) أخرجه أبو داود (4402)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (7344)، وأحمد (1328) واللفظ له.

من موقفه من توجه أبى بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي، فقد روى الدارقطني من حديث عبد الوهاب بن موسى الزهري، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر قال: لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد: شم سيفك، ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا. فرجع[1].

فهذه هي ولاية علي التي أخبر عنها رسول الله ﷺ، فهو ينصح خليفة المسلمين بل آمرا له بالرجوع وناصحا له في أمر الدين، فينصاع أبو بكر لنصح علي رضي الله عنهما ويرجع.

وهو كذلك في خلافة عثمان آمرا وناصحا له، حتَّى أتى زمن ولايته الكبرى وهي خلافته رضي الله عنه وأرضاه.

---

(1) يُنظر البداية والنهاية.



﴿الحديث الثامن والثلاثون﴾

عن حابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن يَأْتِينِي بخَبَرِ القَوْمِ؟ – يَومَ الأَحْزَابِ– قَالَ الزُّبَيْرُ: أنَا، ثُمَّ قَالَ: مَن يَأْتِينِي بخَبَرِ القَوْمِ؟ قَالَ الزُّبَيْرُ: أنَا، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ[1].

************ الشرح **********

كانت غَزوةُ الخَندقِ مِن أشَدِّ الغَزَواتِ التي مَرَّتْ على المُسلِمينَ؛ فقدِ اجتَمَعتْ قُرَيشٌ وغَيرُها مِن قَبائلِ الكُفرِ على المُسلِمينَ، ونَقَضتْ فيها بَنو قُرَيظةَ مِن يَهودِ المَدينةِ عَهدَهم مع المُسلِمينَ، وتَحالَفوا مع الأحزابِ مِنَ المُشرِكينَ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ جابِرُ بنُ عَبدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهما عن جانِبٍ مِن بُطولاتِ أصحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ وثَباتِهم، ففي ظِلِّ هذا المَوقِفِ العَصيبِ مِن تَجَمُّعِ الأحزابِ، وخِيانةِ يَهودِ بَني قُرَيظةَ، نادَى النَّبيُّ ﷺ في المُسلِمينَ، فقال: «مَن يأتيني بخَبَرِ القَومِ؟» يَقصِدُ بَني قُرَيظةَ، كما وَرَدَ عِندَ أحمَدَ، وإلَّا فإنَّ الذي ذَهَبَ وخَرَجَ لِيأتيَ بخَبَرِ قُرَيشٍ كان حُذَيفةَ بنَ اليَمانِ رَضيَ اللهُ عنه، كما في صَحيحِ مُسلِمٍ، فقال الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ رَضيَ اللهُ عنه: «أنا». ثمَّ كَرَّرَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ النِّداءَ مَرَّةً ثانيةً، فكَرَّرَ الزُّبَيرُ بنُ العَوَّامِ رَضيَ اللهُ عنه الاستِجابةَ لِلنَّبيِّ ﷺ مَرَّةً أُخرى، وعِندَ تَكرُّرِ استِجابةِ الزُّبَيرِ رَضيَ اللهُ عنه قال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ لِكُلِّ نبيٍّ حَوارِيًّا، وحَوارِيَّ الزُّبَيرُ»، والحَواريُّ: هو النَّاصِرُ، ومنه الحَوارِيُّونَ أصحابُ عِيسى عليه السَّلامُ، وقيلَ: إنَّهم سُمُّوا بذلك؛ لِأنَّهم كانوا يَغسِلونَ الثِّيابَ فيُحوِّرُونَها، أي: يُبَيِّضونَها.

---

(1) أخرجه البخاري (2846) واللفظ له، ومسلم (2415) بنحوه.

وفي الحَديثِ: بَيانُ فَضلِ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ رَضيَ اللهُ عنه وبطولاته وهو أحد المبشرين.

وفيه: خاصيَّة للزبر خاصَّة وهو أنَّه حواريُّ رسول الله ﷺ.



﴿الحديث التاسع والثلاثون﴾

عن قيس بن أبي حازم قال: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ الَّتي وقَى بها النبيَّ ﷺ قدْ شَلَّتْ[1].

********** **الشرح** **********

كان الصَّحابةُ الكِرامُ رِضْوانُ اللهِ عليهم يُحِبُّونَ رَسولَ اللهِ ﷺ، ويَفْدُونَه بأرْواحِهم وأنفُسِهم وأمْوالِهم؛ بلْ ويَتَفانَوْنَ في تَعْظيمِه والدِّفاعِ عنه، وهنا يُسطِّرُ لنا طَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه مَوقِفًا بُطوليًّا في دِفاعِه عنِ الحَبيبِ المُصْطَفى ﷺ يَومَ أُحُدٍ، فيُخبِرُ التَّابِعيُّ قَيسُ بنُ حازِمٍ بما رَأى مِن حالِ طَلْحةَ رَضيَ اللهُ عنه مِن كَونِ يَدِه الَّتي كان يَقي بها رَسولَ اللهِ ﷺ، ويَدفَعُ بها شَرَّ عَدُوِّه؛ قد شَلَّت.

وكانت غَزْوةُ أُحُدٍ في السَّنةِ الثَّالثةِ منَ الهِجْرةِ بيْنَ مُشْرِكي مكَّةَ والمُسلِمينَ، وانهَزَمَ فيها المُسلِمونَ بسبَبِ مُخالَفةِ الرُّماةِ لأوامِرِ النَّبيِّ ﷺ، وتَراجَعَ المُسلِمونَ، وانكشَفَ مَوقِعُ النَّبيِّ ﷺ، ولم يَثبُتْ معَه وحَولَه إلَّا القَليلُ منَ المُهاجِرينَ والأنْصارِ، ومنهم طَلْحةُ بنُ عُبَيدِ اللهِ رضي الله عنه.

وقد كان طَلْحةُ رَضيَ اللهُ عنه مِن أهلِ النَّجْدةِ والشَّجاعةِ، وثَباتِ القَدَمِ في الحَربِ، وقد شَلَّتْ يَدُه بسبَبِ أنَّه وقَى بها رَسولَ اللهِ ﷺ؛ وذلك أنَّه لمَّا ولَّى المُسلِمونَ يَومَ أُحُدٍ، تَحيَّزَ النَّبيُّ ﷺ إلى الجَبلِ، فلَفَّ طَلْحةُ فصَحِبَه، وكان معَهما اثْنا عشَرَ رَجلًا مِن الأنْصارِ، فلَحِقَهمُ المُشرِكونَ، فاسْتأذَنَ طَلْحةُ رَسولَ اللهِ ﷺ في قِتالِهم، فلمْ يَأذَنْ له، واسْتأذَنَه أنصاريٌّ، فأذِنَ له، فقاتَلَ عنه حتَّى قُتِلَ، وما زالوا على هذه الحالِ، حتَّى قُتِلَ الاثْنا عشَرَ، ولَحِقَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالجَبَلِ ومعَه طَلْحةُ، فاتَّقى عنه بيَدِه، حتَّى شَلَّت مِن كَثْرةِ ما أصابَها.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه **3724**.

وفي الحَديثِ: عَظيمُ تَفاني الصَّحابةِ رِضْوانُ اللهِ عليهم في الوُقوفِ والدِّفاعِ عنِ النَّبيِّ ﷺ.

وفيه: مَنْقَبةٌ لطَلْحةَ بنِ عُبَيدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنه في اسْتِماتتِه وبَلائِه الحَسَنِ في الدِّفاعِ عن رَسولِ اللهِ ﷺ.

وفيه: بَيانُ رَفْعِ الحَرَجِ عن ذِكرِ مَناقِبِ المَرءِ في خِدمةِ الإسْلامِ، والدِّفاعِ عنه.



﴿الحديث الأربعون﴾

عن الزبير بن العوام: كانَ علَى رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ درعانِ، فنَهَضَ إلى صَّخرةٍ، فلم يستَطِع، فأقعدَ تحتَهُ طلحةَ، فصعِدَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى استَوى على الصَّخرةِ، قالَ: فسَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: أَوجبَ طَلحةُ[1].

********** الشرح **********

كان الصَّحابةُ رَضِي اللهُ عَنهم يُحِبُّون النَّبيَّ ﷺ حُبًّا شديدًا، وكان يَظهَرُ ذلك جَليًّا في المعارِكِ، حيثُ كانوا يَفْدونه بأنفُسِهم، ويَجعَلون أَجسادَهم دُروعًا يَحْمون بها النَّبيَّ ﷺ.

وفي هذا الحديثِ يَحكي الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ رضِيَ اللهُ عنه: أنَّه "كان على رَسولِ اللهِ ﷺ يَومَ أحُدٍ"، أي: في غَزوةِ أُحُدٍ، "دِرْعانِ"، مُثنَّى دِرْعٍ، وهو لِباسٌ مِن حَديدٍ يُوضَعُ على الصَّدرِ والظَّهرِ؛ للوِقايةِ مِن ضرَباتِ السُّيوفِ والسِّهامِ والرِّماحِ، "فنهَض إلى صَخرةٍ فلم يَستَطِعْ"، أي: فأراد النَّبيُّ ﷺ أن يَصعَدَ على صَخرةٍ لِيُتابعَ حرَكةَ المعركةِ، فلم يَقدِرْ على الصُّعودِ؛ لِثقَلِ الدِّرْعَين اللَّذَين كان ﷺ يَلْبَسُهما، "فأقعَد تحتَه طَلْحةَ"، أي: فجَعل طلحةُ بنُ عُبيدِ اللهِ نفْسَه سُلَّمًا لِيَصعَدَ عليه رَسولُ اللهِ ﷺ، حتَّى تمَكَّن مِن الصُّعودِ على الصَّخرةِ، "فصَعِد النَّبيُّ ﷺ حتَّى استوى على الصَّخرةِ"، أي: بعدَما أعانَه طلحةُ بنَفسِه وجَعَل جَسَدَه سُلَّمًا للنَّبيِّ ﷺ، قال: "فسَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ"، أي: فسَمِعَ الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: "أوجَبَ طَلْحةُ"، أي: وجَبَت الجنَّةُ لِطَلحةَ؛ وذلك

---

(1) صحيح أخرجه الترمذي (3738) واللفظ له، وأحمد (1417) بنحوه مختصراً.

لأنَّ طَلْحةَ فدَى النَّبيَّ ﷺ بنَفسِه وجعَل جسَدَه دِرعًا يَصُدُّ بها الضَّرباتِ الَّتي كانت مُوجَّهةً إلى النَّبيِّ ﷺ، حتَّى طُعِن وجُرِح مُعظَمُ جسَدِه، ووصَلَت عَددُ الجِراحةِ فيه ما يَزيدُ على الثَّمانينَ ضَربةً، وشُلَّت يدُه رَضِي اللهُ عَنه الَّتي وقَى بها النَّبيَّ ﷺ.

وفي الحديثِ: فَضلُ طَلْحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ ومُكافَأتِه الجنَّةَ؛ لِتَفديَتِه النَّبيَّ ﷺ بنفسِه وجسَدِه.



﴿الحديث الحادي والأربعون﴾

عن أم بكر – يعني بنت المسور: أنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عَوفٍ باع أرضًا له مِن عُثمانَ بنِ عفَّانَ بأربعينَ ألْفَ دينارٍ، فقَسَمَ في فُقراءِ بَني زُهرةِ، وفي أُمَّهاتِ المؤمنينَ، وفي ذي الحاجةِ مِن النَّاسِ، قال المِسوَرُ: فدَخَلتُ على عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها بنَصيبِها مِن ذلك، فقالتْ: مَن أرسَلَ بهذا؟ قُلتُ: عبدُ الرَّحمنِ، فقالتْ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: لا يَحنُو عليكنَّ بَعدي إلَّا الصَّابرونَ، سَقى اللهُ عزَّ وجلَّ ابنَ عَوفٍ مِن سَلسبيلِ الجنَّةِ[1].

*********** الشرح **********

البِرُّ والإحسانُ له فَضلٌ كبيرٌ، وقد حثَّنا اللهُ سبحانَه وتعالَى عليه، ورغَّبنا النَّبيُّ ﷺ فيه، وأفضَلُ البِرِّ والإحسانِ ما أوصَى به النَّبيُّ ﷺ مِن الإحسانِ إلى أهلِ بَيتِه ﷺ، وحُبِّهم دُونَ مُغالاةٍ أو خُروجٍ عمَّا أمَر به الشَّرعُ.

وفي هذا الحَديثِ تَحكي أمُّ المؤمنِينَ عائشةُ رَضِي اللهُ عَنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقولُ لأزواجِه رَضِي اللهُ عَنهنَّ: "إنَّ أمْرَكنَّ"، أي: حالَكنَّ وشأنَكنَّ، "ممَّا يُهِمُّني من بَعْدي"، أي: يُوقِعُني في الهمِّ بعدَ موتي؛ لأنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لم يَترُكْ لأزواجِه شيئًا مِن الدُّنيا، وكان ما ترَكه صدَقةً، وأزواجُه رَضِي اللهُ عَنهنَّ اختَرْنَ الآخِرَةَ والدَّارَ الباقيةَ على الدُّنْيا، ثمَّ قال رسولُ اللهِ ﷺ: "ولَيس يَصبِرُ عَليكُنَّ"، أي: على بَلاءِ مُؤْنَتِكنَّ وسَدِّ حاجَتِكنَّ، "إلَّا الصَّابِرون الصِّدِّيقُون" الَّذين رزَقَهم اللهُ تعالى الصَّبرَ على طاعتِه وابتغاءِ مَرضاتِه، والصَّبرَ على النَّفسِ وعلى مُخالَفتِها، باختيارِ الإنفاقِ والعطاءِ في سبيلِ اللهِ تعالى، مع ما فيهم مِن حُبِّ التَّصدُّقِ على المُؤمنين، "ثمَّ قالت لأبي سَلمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ"، أي: قالتْ أُمُّ المُؤمنين عائشةُ رضِيَ اللهُ عنها لأبي سَلمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ راوِي هذا الحديثِ، "فسَقى اللهُ أباكَ مِن سَلسَبيلِ الجنَّةِ"،

---

(1) صحيح: أخرجه أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار 3566، وصححه الأرناؤوط في تخريج مشكل الآثار.

وهي عَينٌ في الجنَّةِ، قيل: سُمِّيَت بذلك؛ لِسَلاسَتِها ولَذَّتِها وحُسنِها، تُرِيدُ عائشةُ رَضِي اللهُ عَنها بهذا الدُّعاءِ الصَّحابيَّ عبْدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ رَضِي اللهُ عَنه، "وكان" عبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ رَضِي اللهُ عَنه، "قد تصدَّقَ على أُمَّهاتِ المُؤمِنين بأرضٍ بِيعَتْ بأربعينَ ألْفًا، وقال أبو سلمةَ بنُ عبْدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ: أوْصَى عَبدُ الرَّحمنِ بنُ عوفٍ بحَديقةٍ لِأُمَّهاتِ المؤمنينَ بِيعَتْ بأربعِ مِئةِ ألْفٍ"، وفي رِوايةٍ أنَّه "وَصَلَ أَزْوَاجَ النبيَّ ﷺ بِمَالٍ بِيعَتْ بأَرْبَعِينَ أَلْفًا"؛ فتكون رِوايَةُ (بأَربعين ألفًا) قُوِّمتْ بالدَّنانيرِ الذَّهبيةِ، و(بأربع مِئة ألف) قُوِّمَتْ بالدَّراهِم.

وفي الحَديثِ: عَظيمُ اهتِمامِ النَّبيِّ ﷺ بحالِ أزواجِه مِن بَعْدِه.

وفيه: دُعاءُ الصَّحابةِ رَضِي اللهُ عَنهم بَعضِهم لبَعضٍ.

وفيه: فَضلُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ رَضِي اللهُ عَنه وأنَّه من الصابرين بشهادة الحديث.



﴿الحديث الثاني والأربعون﴾

عن عروة بن الزبير: أنَّ أَرْوَى بنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ علَى سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ أنَّهُ أَخَذَ شيئًا مِن أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إلى مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ، فَقالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِن أَرْضِهَا شيئًا بَعْدَ الذي سَمِعْتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: وَما سَمِعْتَ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: مَن أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ، فَقالَ له مَرْوَانُ، لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هذا، فَقالَ: اللَّهُمَّ، إنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا في أَرْضِهَا، قالَ: فَما مَاتَتْ حتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بيْنَا هي تَمْشِي في أَرْضِهَا، إذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ[1].

********** الشرح **********

سعيد بن زيد رضي الله عنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنَّة.

وفي هذا الحديث تدَّعي أروى على سعيد رضي الله عنه أنَّه أخذ شيأ من أرضها أي غصب أرضها كما في الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي:

جَاءَتْ أَرْوَى ابْنَةُ أُوَيْسٍ إِلَى أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ، إِنَّ سَعِيدَ بْنَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَدْ بَنَى صَفِيرَةً فِي حَقِّي، فَأْتِهِ فَأَعْلِمْهُ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ لأَصِيحَنَّ بِهِ فِي مسجد رسول الله ﷺ فَقَالَ: لا تُؤْذِي صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ لِيَظْلِمَكِ، وَمَا كَانَ لِيَأْخُذَ لَكِ حَقًّا (وهذا توقير منه لأصحاب الرسول ﷺ وعلم منه أنَّهم لا يظلمون، وأنَّ التعدي عليهم ظلم عظيم) فَخَرَجَتْ، فَجَاءَتْ عِمَارَةَ بْنَ حَزْمٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فَقَالَتْ لَهُمَا: إيتيا سَعِيدَ بْنَ زَيْدٍ فَإِنَّهُ ظَلَمَنِي فِي

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 1610.

صَفِيرَةٍ فِي حَقِّي، فَوَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْزَعْ لأَصِيحَنَّ بِهِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَا حَتَّى أَتَيَاهُ (أي سعيد) فِي أَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ، فَقَالَ لَهُمَا: مَا أَتَى بِكُمَا؟ قَالا: جَاءَتْنَا أَرْوَى بِنْتُ أُوَيْسٍ فَزَعَمَتْ أَنَّكَ بَنَيْتَ صَفِيرَةً فِي حَقِّهَا، فَإِنْ لَمْ تَنْزِعْ لَتَصِيحَنَّ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَحْبَبْنَا أَنْ نَأْتِيَكَ فَنُذَكِّرُكَ، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ طَوَّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ" لِتَأْتِيَنَّ وَلْتَأْخُذْ مَا كَانَ لَهَا مِنْ حَقٍّ (وهنا سعيد يأمر بأن تأخذ ما التدَّعي أنَّه لها لا اعترافا بحقَّها فيه، بل خشية أن تصيح في مسجد رسول الله ﷺ ودليله قوله بعد ذلك) اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَذَبَتْ فَلا تُمِتْهَا حَتَّى تُعْمِيَ بَصَرَهَا وَتَجْعَلَ مَنِيَّتَهَا فِيهَا، ارْجِعُوا فَأَخْبِرُوهَا ذَلِكَ.

(أي: قولوا لها ما قلت وأني دعوت عليها إن كانت كاذبة لعلَّها تتوب إلى الله تعالى) فَجَاءَتْ فَهَدَمَتِ الصَّفِيرَةَ وَبَنَتْ بُنْيَانًا، (لكنَّها مع أنَّها سمعت بما قاله سعيد في حقفها وسمعت حديث رسول الله ﷺ إلَّا أنّها هدمت ما بناه سعيد وبنت مكانه بنيانها) فَلَمْ تَمْكُثْ إلا قَلِيلا حَتَّى عَمِيَتْ، فَكَانَتْ تَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ وَمَعَهَا جَارِيَةٌ لَهَا تَقُودُهَا لِتُوقِظَ الْعُمَّالَ، فَقَامَتْ لَيْلَةً وَتَرَكَتِ الْجَارِيَةَ لَمْ تُوقِظْهَا، فَخَرَجْت حَتَّى سَقَطَتْ فِي الْبِئْرِ فَأَصْبَحَتْ فِيهَا ميتة[1]. (وهنا استجاب الله تعالى لسعيد عن عجل، وذلك أنَّها ادَّعت بالباطل على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ وأنَّه ذكَّرها وتنازل لها إلا أنها أبت إلَّا الاستمرار في ادعائها).

وفي الحديث: أنَّ الادِّعاء على أصحاب رسول الله ﷺ خطر عظيم فيجب على المسلم أنْ يعلم للصحابة حقَّهم ويوقرهم أشد توقير.

وفيه: منقبه لسعيد وهو توقيره لمسجد رسول الله ﷺ.

وفيه: أنَّ سعيدا رضي الله عنه مستجاب الدعوة.

(1) الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي **30**.



﴿الحديث الثالث والأربعون﴾

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: أَرِقَ النبيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقالَ: لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِن أصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ إذْ سَمِعْنَا صَوْتَ السِّلَاحِ، قالَ: مَن هذا؟، قالَ سَعْدٌ: يا رَسولَ اللَّهِ، جِئْتُ أحْرُسُكَ، فَنَامَ النبيُّ ﷺ حتَّى سَمِعْنَا غَطِيطَهُ[1].

********** **الشرح** **********

ضَرَبَ النَّبيُّ ﷺ المَثَلَ في التَّوكُّلِ على اللهِ سُبحانه وتعالَى، مع الأخذِ بالأسبابِ؛ تَعليمًا لأُمَّتِه، وأداءً للأمانةِ الَّتي على عاتِقِه، فالاحتراسُ منَ العدوِّ والأخذُ بالحَزمِ والاحتياطِ مَطلَبٌ شَرعيٌّ.

وفي هذا الحديثِ تَروي أمُّ المؤمِنينَ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها أنَّ النَّبيَّ ﷺ أصابَه ذاتَ ليلةٍ الأرَقُ، فلم يَستطِعِ النَّومَ، وكانَ ذلك وقتَ قُدومِه إلى المدينةِ النَّبويَّةِ من بعضِ الغَزَواتِ، كما في روايةٍ في الصَّحيحَينِ، فقالَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُحدِّثًا بذلك عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها: «لَيْتَ رجُلًا صالِحًا من أصحابِي»، فتَمنَّى النَّبيُّ ﷺ لو أنَّ رَجلًا من أصحابِه قامَ على بَيتِه يَحرُسُه خَشيةً من عدوٍّ ونحوِه، وإنَّما قال النَّبيُّ ﷺ ذلك مع قوَّةِ تَوكُّلِه؛ للاستِنانِ به في ذلك، فهو منَ الأخذِ بالأسبابِ، وبينما هُما على هذه الحالةِ إذ سَمِعَا صَوتَ السِّلاحِ منَ الخارِجِ، فسَأَلَ النَّبيُّ ﷺ عنِ الذي في الخارجِ ويَحمِلُ السِّلاحَ، فأُخبِرَ أنَّه سَعدُ بنُ أبي وَقَّاصٍ رَضيَ اللهُ عنه، وأنَّه جاءَ ليَحرُسَ النَّبيَّ ﷺ باللَّيلِ؛ فقدِ استجابَ اللهُ لرَغبةِ نبيِّه وألهمَ بها سعدًا رَضيَ اللهُ عنه، وجاءَ في رِوايةٍ في صحيحِ مُسلِمٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سألَه: «ما جاءَ بك؟ فقالَ: وَقَع في نفْسِي خَوفٌ على

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه 7231.

رَسولِ اللهِ ﷺ، فجِئتُ أَحرُسُه»، قالت عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها: «فنامَ النَّبيُّ ﷺ حتَّى سَمِعْنا غَطِيطَه» والغَطيطُ: صَوتُ النَّائمِ ونَفخُه، وهو كنايةٌ عنِ اطمئنانِه واستغراقِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في النَّومِ.

قيلَ: هذا الحديثُ كانَ قبلَ نُزولِ قولِه تَعالَى: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}[المائدة: 67]؛ فعِندَ التِّرمذيِّ من حديثِ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها: «كانَ النَّبيُّ ﷺ يُحرَسُ حتَّى نزَلتْ هذه الآيةُ: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}، فأخرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ رأْسَه منَ القُبَّةِ، فقالَ لهُم: يا أيُّها النَّاسُ، انصَرِفُوا؛ فقدْ عَصَمَني اللهُ»، ويَحتمِلُ أنَّه لا تَعارُضَ أن يُقالَ: إنَّ قولَه: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} ليس فيه ما يُناقِضُ احتراسَه منَ النَّاسِ، ولا ما يَمنَعُه، كما أنَّ إخبارَ اللهِ تَعالَى عن نَصرِه وإظهارِه لدينِه، ليس فيه ما يَمنَعُ الأمرَ بالقِتالِ، وإعدادِ العَدَدِ، والعُدَدِ، والأخذِ بالجِدِّ والحَزمِ، والحَذَرِ.

وفي الحديثِ: الأخْذُ بالحَذَرِ، والاحتراسُ مِنَ العدوِّ، وحِراسةُ السُّلطانِ خَشيةَ القَتلِ.

وفيه: أنَّ الأخذَ بالأسبابِ لا يُنافي التَّوكُّلَ على اللهِ تَعالَى.

وفيه: مَنقَبةٌ لسعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ حيثُ أُلهمَ ما تمنَّاه النَّبيِّ ﷺ فاتَّبع الهامه، مع حِرصِ سعدٍ على حِراسةِ النَّبيِّ ﷺ.



﴿الحديث الرابع والأربعون﴾

عن حذيفة بن اليمان قال: جاءَ العاقِبُ والسَّيِّدُ صاحِبا نَجْرانَ إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، يُرِيدانِ أنْ يُلاعِناهُ، قالَ: فقالَ أحَدُهُما لِصاحِبِهِ: لا تَفْعَلْ؛ فَواللَّهِ لَئِنْ كانَ نَبِيًّا فَلاعَنَّا، لا نُفْلِحُ نَحْنُ ولا عَقِبُنا مِن بَعْدِنا، قالا: إنَّا نُعْطِيكَ ما سَأَلْتَنا، وابْعَثْ معنا رَجُلًا أمِينًا، ولا تَبْعَثْ معنا إلَّا أمِينًا، فقالَ: لَأَبْعَثَنَّ معكُمْ رَجُلًا أمِينًا حَقَّ أمِينٍ، فاسْتَشْرَفَ له أصْحابُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: قُمْ يا أبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاحِ، فَلَمَّا قامَ، قالَ رَسولُ ﷺ: هذا أمِينُ هذِه الأُمَّةِ[1].

*********** الشرح **********

بعْدَ جِهادٍ طَويلٍ، وصَبرٍ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ وأصْحابِه؛ ظَهَرَ دينُ اللهِ وعزَّ وقَوِيَ، فكانتِ القَبائلُ تُرسِلُ الوُفودَ إلى النَّبيِّ ﷺ؛ مُعلِنينَ إسْلامَهم، أو خُضوعَهم التَّامَّ لرَسولِ اللهِ ﷺ.

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي حُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ رَضيَ اللهُ عنه أنَّه جاء العاقِبُ، قيل: اسمُه عبدُ المَسيحِ، والسَّيِّدُ، واسمُه الأيْهَمُ، أو شُرَحْبيلُ، صاحِبَا نَجْرانَ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، وهما مِن أكابِرِ نَصارى نَجْرانَ وحُكَّامِهم، وكان السَّيِّدُ رَئيسَهم وصاحِبَ رِحالِهم ومُجتَمَعِهم، والعاقبُ صاحبُ مَشورَتِهم، وكان معَهم أيضًا أبو الحارِثِ بنُ عَلْقَمةَ، وكان أُسْقُفَّهم، وحَبْرَهم، وصاحِبَ مِدْراسِهم، وكان مَقدَمُهم إلى النَّبيِّ ﷺ سَنةَ تِسعٍ مِنَ الهِجْرةِ في وَفدٍ من أهلِ نَجْرانَ، ونَجْرانُ مَدينةٌ بيْنَ مكَّةَ واليمَنِ، وقدْ جاءا يُريدانِ مُلاعَنةَ النَّبيِّ ﷺ، والمُلاعَنةُ هي المُباهَلةُ، وهي أنْ يَدْعوَ كلُّ واحدٍ مِن المُتَلاعِنَيْنِ على نفْسِه بالعَذابِ على الكاذِبِ والمُبطِلِ، فخافَ أحَدُهما وقال لصاحِبِه: لا تَفعَلْ؛ فواللهِ لَئنْ كان نَبيًّا حقًّا فلاعَنَنا لا نُفلِحُ نحْن ولا ذُرِّيَّتُنا مِن بَعدِنا، فامْتَنعا عنِ

---

(1) أخرجه البخاري (4380)، ومسلم (2420).

المُلاعَنةِ، وتَصالَحا معَ النَّبيِّ ﷺ على مالٍ يَدفَعونَه له، فقالا للنَّبيِّ ﷺ: إنَّا نُعْطيكَ ما سأَلْتَنا، وابعَثْ معَنا رَجلًا أمينًا، ولا تَبعَثْ معَنا إلَّا أمينًا، وهذا تَشْديدٌ وتَأكيدٌ على أمانَتِه، فأجابَهمُ النَّبيُّ ﷺ إلى طلَبِهم، وقال لهمْ: «لَأَبعَثَنَّ معَكم رَجلًا أمينًا حقَّ أمينٍ»، وهذا تَأكيدٌ على أمانةِ مَن سيَبعَثُه النَّبيُّ ﷺ، فرَغِبوا النَّاسُ في أنْ يَنالوا ذلك؛ لمَا فيه مِن تَزْكيةِ النَّبيِّ ﷺ، ووَصْفِه للرَّجلِ المُخْتارِ بالأمانةِ، وليس حِرصًا على الوِلايةِ والمَسؤوليَّةِ، فبعَثَ النَّبيُّ ﷺ أبا عُبَيْدةَ بنَ الجرَّاحِ رَضيَ اللهُ عنه، وقال: «هذا أمينُ هذه الأُمَّةِ»، وإنَّما خَصَّه النَّبيُّ ﷺ بالأمانةِ، وإنْ كانت مُشترَكةً بيْنَه وبيْنَ غيرِه منَ الصَّحابةِ؛ لغلَبَتِها فيه بالنِّسبةِ إليهم، وقيلَ: لكَوْنِها غالِبةً بالنِّسبةِ إلى سائرِ صِفاتِه.

وفي الحَديثِ: فَضيلةٌ ظاهِرةٌ لأبي عُبَيْدةَ رَضيَ اللهُ عنه.

وفيه: شهادة من رسول الله ﷺ على أمانة أبي عبيدة.

وفيه: تَطلُّعُ الصَّحابةِ للخَيرِ وحِرصُهم عليه.

وفيه: مَشْروعيَّةُ مُباهَلةِ المُخالِفِ إذا أصَرَّ بعدَ ظُهورِ الحُجَّةِ.



﴿الحديث الخامس والأربعون﴾

عن جابر بن عبدالله قال: فَقَدَ رسولُ اللهِ ﷺ حمزةَ حين فاءَ الناسُ من القتالِ، فقال رَجُلٌ: رأيْتُه عندَ تلك الشَّجرةِ، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ نحوَه، فلما رآهُ ورأى ما مُثِّلَ به شَهِقَ وبَكى، فقام رَجُلٌ من الأنصارِ، فرَمى عليه بثوبٍ، ثم جيء بحمزةَ فصُلِّيَ عليه، ثم بالشُّهداءِ، فيُوضَعون إلى جانبِ حمزةَ، فيُصَلَّى عليهم ثم يُرفعون ويُترَكُ حمزةُ حتى صُلِّيَ على الشُّهداءِ كُلِّهم، وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: حمزةُ سيِّدُ الشُّهداءِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ[1].

********** الشرح **********

حمزة بن عبد المطلب أسد الله تعالى:

واسمه حمزة في الجاهلية وفي الإسلام، ومعنى الحمزة هو: الأسد ذو البأس الشديد.

وهو عمُّ الرسول ﷺ وأخوه في الرضاع وصاحبه، فهو أكبر من الرسول ﷺ بسنتين وقيل بأربع.

وهو صاحب أوَّل لواء عُقد في الإسلام قال ابن الأثير في حوادث السنة الأولى من الهجرة عقد رسول الله ﷺ لعمه حمزة لواء أبيضا في ثلاثين رجلا من المهاجرين ليعترضوا لعير قريش، فالتقى بأبي جهل في ثلاثمائة رجل، فحجز بينهم (مجدي بن عمرو الجهني)، فانصرف ولم يكن بينهم قتال (وقيل إلَّا رشقا بالسهام عن بعد)، وكان يحمل اللواء أبو مرثد، وهو أول لواء رفع في الإسلام.

---

(1) أخرجه الحاكم (2557) والكمال بن الهمام في شرح فتح القدير وقال: لا يقصر عن درجة الحسن.

وقال ابن الأثير: كان حمزة يحمل لواء رسول الله ﷺ في غزوة بواط، وكانت في أول سنة من الهجرة. وفيها كانت غزوة (الأبواء) وقبل غزوة (ودان) وفي طبقات ابن سعد: قال الواقدي: حمل حمزة لواء رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع، ولم تكن الرايات يومئذ.

وفي يوم بدر قال ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير في الكامل: برز حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة على صدره وعلى بيضة رأسه، وهي شارة البطولة والشجاعة والفروسية.

وقال أمية بن خلف من الرجل المعلم بريشة نعامة على صدره؟ قالوا: هو حمزة بن عبد المطلب، قال أمية: هو الذي فعل بنا الأفاعيل.

وفي الاستيعاب: إن حمزة بن عبد المطلب كان يقاتل في واقعة أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين وهو يقول: أنا أسد الله، وجعل يقبل ويدبر، ويقتل كل من تقدم إليه.

وفي الإصابة: إن حمزة بن عبد المطلب قُتِلَ بإِحدى وثلاثين رجلا (قبل أن يُقتل).

وقتله وحشي بن حرب غيلة، أي: غدرا لأنه لم يكن كفؤا له في القتال ولا غيره، ووحشي هو عبد حبشي يرمي بالحربة، قلما يخطئ، ولم تكن العرب تعرف ذلك، بل هو من اختصاص أهل الحبشة، وتسمى تلك الحربة عندهم المزراق، وهي رمح قصير.

قال وحشي: فجئت إلى هند بنت عتبة، فقلت لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك.

قالت: سلبي.

فقلت: أنا قتلته.

فنزعت ثيابها وما كان عليها من حلي، ثم قالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت: أرني مصرعه.

فأريتها، فجلست عنده وبقرت بطنه وأخرجت كبده فلاكتها فلم تستسيغها فلفظتها، فسميت بـ (آكلة الأكباد)، ثم قطعت، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وجعلت منهم مسكتين، ومعضدين، وخدمتين.

وقال وحشي: ثم وقفت هند وصويحباتها على أجساد القتلى يمثلن بهم، واتخذن من آذان الرجال وانوفهم خدما وقلائدا، بعد أن أعطت هند خدمها وقلائدها وخلاخلها وحشيا.

وبعد أن القت الحرب أوزارها قال رسول الله ﷺ: التمسوا حمزة، فبعث أحد أصحابه يلتمسه، فلم يعد لمَّا رأى حمزة بتلك الحالة من التمثيل، ثم بعث آخر وآخر وكل من يذهب ويشاهده بهذه الحالة لم يعد إلى رسول الله ﷺ ليخبره، حتَّى جاءه رجل فقال إنه عند تلك الشحرة، فلما شاهده وهو مطروح ببطن الوادي وقد مثل به شر تمثيل، فحينما رآه شهق وبكى، فقام رَجُلٌ من الأنصارِ، فرَمى عليه بثوبٍ، وقيل أنَّ النبي ﷺ قال مخاطبا: لن أصاب بمثلك أبدا ما وقفت موقفا قط أغيظ علي من هذا الموقف.

وقيل أنَّه ﷺ رثاه بقوله: يا عم رسول الله، أسد الله وأسد رسوله، يا حمزة، يا فاعل الخيرات. يا حمزة،... يا مانع عن وجه رسول الله.

وقيل أنَّه ﷺ قال: لولا أن حزن صفية أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يكون في أجواف السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لا أمثلن بثلاثين رجلا منهم، فأنزل الله تعالى في ذلك آية: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ}[النحل: 136]، فقال رسول الله ﷺ: نصبر.

فصبر وعفا، ونهى عن المثلة.

وأقبلت صفية تطلب أخاها حمزة، فقال رسول الله ﷺ لابنها الزبير بن العوام: لِتَرُدَّهَا لئلا ترى ما بأخيها حمزة، فلقيها الزبير فأعلمها بأمر رسول الله ﷺ، فقالت: إنه بلغني

أنه مثل بأخي، وذلك في الله قليل، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن. فأعلم الزبير النبي ﷺ بذلك، فقال: خل سبيلها.

فأتته وصلت عليه واسترجعت، وكانت صفية شقيقة حمزة لإمه وأبيه.

ثم جيء بحمزةَ فصُلِّيَ عليه، ثم بالشُّهداءِ، فيُوضَعون إلى جانبِ حمزةَ، فيُصَلَّى عليهم ثم يُرفعون ويُترَكُ حمزةُ حتى صُلِّيَ على الشُّهداءِ كُلِّهم، وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: حمزةُ سيِّدُ الشُّهداءِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ.

وقال بعض أهل العلم أنَّ الحكمة في استشهاد حمزة قبل الفتح، أنَّه لو مات رسول الله ﷺ وحمزة حي فلن تكون الخلافة إلا لحمزة، فمن ذا الذي ينطق وحمزة موجود.

وليس النبي ﷺ وحده حزن كل هذا الحزن على استشهاد حمزة، بل كل المسلمين، فقد كان درعهم وأسدهم وفارسهم وبطل أبطال الصحابة وأقواهم، فقد فاق عمر وخالدا وعليًّا في القوَّة والشجاعة.

ومما قيل في رثائه:

ما رواه عبدالله بن رواحة

بكت عيني وحق لها بكاهـا * وما يعني البكاء ولا العويـل

على أسد الإله غداة قالـوا * أحمزة ذاكم الرجل القتيـــل

أصيب المسلمون به جميعا * هناك وقد أصيب به الرسول

أبا يعلى لك الأركان هـدت * وأنت الماجد البر الوصـول

عليك سلام ربك في جنان * مخالطها نعيم لا يـــــــزول

ألا يا هاشم الأخيار صبـرا * فكل فعالكم حسن جميـــل

إلى آخر القصيدة.

و قال حسان بن ثابت في رثائه:

أتعرف الدار عفا رسمــــــها * بعدك صوب المسبل الهاطل

بين السراديح فأدمــــــــانة * فمدفع الروحاء في حائـــــل

ساءلتها عن ذاك فاستعجمت * لم تدر ما مرجوعة السائـــل

دع عنك دارا قد عفا رسمها * وابك على حمزة ذي النائـل

المالئ الشيزى إذا أعصفـت * غبراء في ذي الشبم الماحل

والتارك القرن لدى لبــــدة * يعثر في ذي الخرص الذابـل

واللابس الخيل إذ أجحمت * كالليث في غابته الباســــل

أبيض في الذروة من هاشـم * لم يمر دون الحق بالباطـــل

مال شهيدا بين أسيافكـم * شلت يدا وحشي من قاتـــل

إلى آخرها...

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبدالمطلب :

طرقت همومك فالرقاد مَسَهَّدُ * وجزعت أن سُلخ الشباب الأغيد

ودعت فؤادك للهوى ضمريــة * فهواك غوري وصحوك منجــــد

فدع التمادى في الغواية سادرا * قد كنت في طلب الغواية تفنــد

ولقد أنى لك أن تناهى طائعـا * أو تستفيق إذا نهاك المرشــــد

ولقد هددت لفقد حمزة هـدة * ظلت بنات الجوف منها ترعــد

ولو أنه فجعت حراء بمثلـــه * لرأيت راسي صخرها يتبـــــدد

إلى آخرها...

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبدالمطلب تبكي أخاها حمزة بن عبدالمطلب:

أسائلة أصحاب أحد مخافـــــــة * بنات أبي من أعجم وخبيـــر

فقال الخبير إن حمزة قد ثـــوى * وزير رسول الله خير وزيـــــر

دعاه إله الحق ذو العرش دعـــوة * إلى جنة يحيا بها وســــــرور

فذلك ما كنا نرجِّي ونرتجـــــــي * لحمزة يوم الحشر خير مصير

فوالله لا أنساك ما هبت الصبـــا * بكاء وحزنا محضري ومسيري

على أسد الله الذي كان مدرهـــا * يذود عن الإسلام كل كفـــور

فيا ليت شلوي عند ذاك وأعظمي * لدى أضبع تعتادني ونســـور

أقول وقد أعلى النعي عشيـــرتي * جزى الله خيرا من أخ ونصير

بكاء وحزنا محضري ومسيـــري *

ثم قال رسول الله : حمزةُ سيِّدُ الشُّهداءِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ، أي: هو أرفع الشهداء يوم القيامة مقاما.

ولو تحدَّثنا على مناقب حمزة لن تكفي الأقلام ولا الأوراق، وما قدَّمناه من فضل حمزة، وحب الصحابة والرسول ﷺ له فيه كفاية، وبأسد الله تعالى نختم هذه الأربعين ونترضى على كل أصحاب رسول الله ﷺ ونترضى على أتباعهم وأتباع أتباهم راجين من الله تعالى أن يكتبنا منهم، هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

المصادرُ والمراجعُ

1 – القرآنُ.

2 – صحيحُ الإمامِ البخاريِّ: لأبِي عبدِ اللهِ محمَّدٍ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ، متوفَّى (1 شوال 256 هجري).

3 – صحيحُ الإمامِ مسلمٍ: لمسلمٍ بنِ الحجَّجِ القشيرِي النَّسابورِي، متوفَّى (25رجب 261 هجري).

4 – سننُ أبِي داودَ: لأبِي داودَ سليمانَ بنِ الأشعثِ السَّجستانِي، متوفَّى (16 شوال 275 هجري).

5 – سننُ النَّسائِي: لأبِي عبدِ الرَّحمنِ بنِ شعيبٍ النَّسائِي، متوفَّى (13 صفر 303 هجري).

6 – سننُ الترمذي (الجامع الكبير): لأبِي عيسَى محمَّدٍ بنِ عيسَى بنِ سَوْرةَ بنِ موسَى بنِ الضَّحَّاكِ، السّلمِي التِّرمذِي، المتوفَّى (279 هجري).

7 – سنن ابن ماجه المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ).

8 – سننُ البيْهقِي: لأبِي بكرٍ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ موسَى الخراسنِي البيْهقِي، المتفَّى (جمادى الأوَّل 458 هجري).

9 – المسندُ: لأبِي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ بنِ حنبلَ الشَّيبانِي الذهلِي، المتوفَّى (241 هجري).

10 – صحيحُ ابنِ حبَّانَ: لأبِي حاتمٍ محمَّدٍ بنِ حبَّانَ البستِي، المتوفَّى (354 هجري).

11 – المصنَّفُ فِي الأحاديثِ والآثارِ: المعروفُ بمصنَّفِ ابنِ أبِي شيبةَ، لأبِي بكرٍ بنِ أبِي شيْبةَ، عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ بنِ إبراهيمِ بنِ عثمانَ بنِ خواستِي العبسِي، المتوفَّى (235 هجري).

12 – سننُ الدَّارقطنِي: لأبِي الحسنِ عليٍّ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ مهدِي بنِ مسعودٍ بنِ النُّعمانَ بنِ دينارٍ البغدادِي الدَّارقطنِي، المتوفى (385 هجري).

13 – تفسيرُ الطَّبرِي: لمحمَّدٍ بنِ جريرٍ الطَّبرِي، المتوفَّى (26 شوال 310 هجري).

14 – تيسيرُ الكريمِ الرَّحمنِ فِي تفسيرِ كلامِ المنَّانِ: لعبدِ الرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السَّعدِي، المتوفَّى (23 جمادى الآخر 1376).

15 – تفسير القرآن بالقرآن من أضواء البيان الشنقيطي؛ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المتوفى (17 ذو الحجة 1393).

16 – معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول المؤلف : حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى : 1377هـ).

17 – المختصر في علم رجال الأثر للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف.

18 – تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ).

19 – مفتاح السنة، لخولي، محمد عبد العزيز.

20 – دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين المؤلف: محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: 1403هـ).

21 – سنن الدارمي، لمؤلفه الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن التميمي الدارمي السمرقندي المتفى (255هـ).

22– مقدمة الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التّميمي الحَنْظَلي الرازي. (240 هـ – 327 هـ).

23 – جامع بيان العلم وفضل لابن عبد البر؛ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي، أبو عمر (368 هـ – 463 هـ).

24 – السنة قبل التدوين لمحمد عجاج الخطيب.

25 – تهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الملك بن يوسف بن أبي الزهر القضاعي ثم الحلبي الشافعي، ت، (12 صفر 742).

26 – السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي.

27 – تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري لمحمد بن مطر الزهراني المتوفى (1472 هجري).

28 – معرفة النسخ والصحف الحديثية للشيخ الدكتور/ بكر أبو زيد.

29 – تقييد العلم للخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المتوفى (463 هجري).

30 – تهذيب التهذيب المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ).

31 – بحوث في تاريخ السنة للدكتور/ أكرم العمري.

32 – مسند أبي يعلى المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ).

33 – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ).

34 – شعب الإيمان المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ).

35 – السنة المؤلف: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ).

36 – المعرفة والتاريخ المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفى: 277هـ).

37 – المستدرك على الصحيحين المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ).

38 – سير أعلام النبلاء المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ).

39 – المعجم الأوسط للطبراني: سليمان بن أحمد الطبراني (260 هـ 360 هـ).

40 – المؤتَلِف والمختَلِف المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ).

41 – ميزان الاعتدال في نقد الرجال المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ).

42 – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ).

43 – صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ).

44 – الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين: مقبل بن هادي الوادعي المتوفى (30 ربيع الآخر 1422هـ).

45 – فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: سبق ترجمته.

46 – بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث المؤلف: أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة (المتوفى: 282هـ).

47 – المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر: سبق ترجمته.

48 – تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ).

49 – مسند ابن أبي شيبة المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ).

50 – مسند أبي يعلى المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ).

51 – محجة القرب إلى محبة العرب: المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ).

52 – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ).

53 – الصارم المسلول على شاتم الرسول المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ).

54 – معرفة أنواع علوم الحديث المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ).

56 – اختصار علوم الحديث المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ).

57 – رسالة في الرد على الرافضة (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر) المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ).

58 – الملل والنحل المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ).

59 – اعتقادات فرق المسلمين والمشركين المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ).

60 – الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: 873هـ).

61 – فتاوى السبكي المؤلف: أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (المتوفى: 756هـ).

62 – البداية والنهاية المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ).

63 – الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر: المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: 974هـ).

64 – إتحاف ذوي النجابة بما في القرآن والسنة من فضائل الصحابة لمحمد العربي التباني المغربي السطيفي المتوفى (1930 هجري).

65 – الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ).

66 – عمدة القاري شرح صحيح البخاري المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ).

67 – بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير (الشرح الصغير هو شرح الشيخ الدردير لكتابه المسمى أقرب المسالك لِمَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ) المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ).

68 – الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع / ويليه أسئلة من خط الشيخ العسقلاني: سبق تخريجه.

69 – شرح مختصر خليل للخرشي المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: 1101هـ).

70 – شرح علل الحديث مع أسئلة وأجوبة في مصطلح الحديث، المؤلف: مصطفى العدوي.

71 – الفتاوى البزازية؛ لمحمد بن محمد بن شهاب بن يوسف الكردري البريقيني الخوارزمي الشهير بالبزازي المتوفي (**827** هجري).

72 – تاريخ دمشق المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: **571**هـ).

73 – الكامل في ضعفاء الرجال المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: **365**هـ).

74 – التاريخ الكبير للبخاري: سبق تخريجه.

75 – مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: **292**هـ).

76 – مسند خليفة بن خياط المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: **240**هـ).

77 – النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة / لمحمد بن أحمد بن جار الله الصعدي اليمني (١١٨١هجري).

78 – الأحكام الشرعية الكبرى للبزار: سبق تخريجه.

79 – الأحكام الشرعية الصغرى «الصحيحة» المؤلف: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بابن الخراط (المتوفى: **581** هـ).

80 – الرحمة الغيثية لابن حجر: سبق تخريجه.

81 – الأدب المفرد للبخاري سبق تخريجه.

82 – مسند إسحاق بن راهويه – مسند ابن عباس المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه (المتوفى: 238هـ).

83 – شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث المؤلف: ناصر بن عبد الكريم العلي العقل.

84 – الغنية عن الكلام وأهله، المؤلف: أبو سليمان الخطابي (319 هـ – 388 هـ).

85 – شرح مشكل الآثار المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ).

86 – الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ).

87 – شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي (ط. العلمية) المؤلف: محمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري كمال الدين ابن الهمام – أحمد بن قودر قاضي زاده المتوفى (861 هجري).

وما تركناه فهو في أم الكتاب.

الفهرس

كتب للمؤلف

1) الأذان.

2) الترويح والملح في شرح نظم غرامي صحيح لابن فرح.

3) الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه الجزء الأوَّل.

4) الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه الجزء الثاني.

5) التهذيب والتوضيح لعلم قواعد الترجيح.

6) تمهيد البداية في أصول التَّفسير.

7) ورقات في أصول التفسير، من كلام الأمام ابن القيم، والإمام السعدي.

8) الأربعون الزجريَّة في أحاديث زجر النِّساء.

9) طريق الأبرار عشرون حديثا تملؤها الأسرار.

10) الديوث.

11) الحجاب.

12) الإمام ابن أبي ذئب.

13) حجَّة الوداع من صحيح الإمام مسلم مع شرح كيفيَّة حج رسول الله ﷺ.

14) في كل بيت راق: الرقية والحجامة سنَّة وعلاج.

15) المفرد في علم التشخيص ودلائل الإصابات من الرقية الشرعية.

16) أسرار الترياق من مختصر في كل بيت راق.

17) الخطوات الأوَّليَّة في الأعشاب الطبيَّة: الأعشاب الطبيَّة بين الأصالة والحداثة والاستعمال.

18) الزيوت العطرية علاج وجمال.

19) التدليك علاج واسترخاء.

20) أبجديَّة نواقض الإسلام.

21) البداية في الإملاء والترقيم.

22) المنَّة في إحياء السنَّة: وهو الجزء الثاني مفرد من كتاب، الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه.

23) الأربعون في فضل الصحابة وخير القرون.

كتب في طور التأليف

1) اختصار شرح ابن عقلي على ألفيَّة بن مالك.

2) الخلاصة السنيَّة في السيرة النبويَّة: الطبعة الثانيَّة.

3) أصمحة بين الخضرمة والصحبة.

4) تحقيق البدع والنهي عنها لابن الوضاح.

5) البيان في شرح قواعد الحسان للسعدي.

6) الخطوات الأَوَّليَّة في الأعشاب الطبيَّة الجزء الثاني.

7) الشرح الأروع للقواعد الأربع للإمام المجدد ابن عبد الوهاب.

8) الشرح المختصر لنظم الدرر للسيوطي.

9) القتات.

10) القول المتين في الضروري من أصول الدين.

11) المختصر اللامع في شرح الأصل الجامع.

12) المختصر في وصف خير البشر ﷺ.

13) المفرد في علم الكلام من النحو.

14) مختصر المواريث.

15) تفسير أهل الأثر.

16) تنوير العقول بشرح ستة الأصول.

17) الدعاء من الكتاب والسنَّة.

18) شرح كتاب الإيمان من صحيح مسلم.

19) شرح منظومة نواقض الإسلام.

20) شرح منظومة القواعد الفقهيَّة لعثمان بن سند المالكي.

21) نصب الدروع على قواعد الفروع.

22) مقتلة بني قريضة.

23) الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه الجزء الثالث.

وغير ذلك...

تمَّ الكتاب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات